

الحق في البرقاء

رواية عصرية ادبية غرامية

بقلم الكاتب المتقن

نقود افندي صرنا

محرر « الرائد المصري » سابقاً ومؤلف كتابي « الحب والزواج »
و « مناهج الحياة » وروايات « كاه نصيب » و « المين بالعين »
و « اسرار مصر » ومعرب رواية « زوجة بالاسم »
وكتاب « سنة الازتقاء في نظام الحكومة الانكليزية »

طبعت على نفقة مكتبة المعارف ومطبعة

لصاحبها **الشيخ محمد تقي** بمصر

فصل الأول

وردة ونرجستا

جامعة كبرديج في انكلترا من اكبر جامعات العالم او بالاحرى من اهمهن وارقاهن . وامثالها في الاصقاع المتمدنة قليلة جدا تعدُّ على الاصابع ومعظم خريجي هذه الجامعة من فطاحل العلماء ولهذا يؤمها ابناء الاماثل والاغنياء الكبراء ويندر ان يتخرج اشرف الانكليز في غير هذه الجامعة وجامعة اكسفردي التي تضارعها

في ربيع غير بعيد العهد حفل منتدي تلك الجامعة بجمهور من كبراء الانكليز يوم توزيع الشهادات على الذين اتموا الدروس في دوائر تلك المدرسة المختلفة من علمية وطبية وهندسية وحقوقية الخ

وقد استوجه انظار ذلك الجم الغفير في رحبة المنتدي الفسيح اشراق وجه صبح كان يلقي اشعة الجمال والابهة في فضاء ذلك المحفل فيزيده جلالاً . نغني به محياً اللايدي لويزا بنتن ابنة اللورد هربرت بنتن اف هندستون

فقد اشتهرت هذه الفتاة بمزيتين يندر ان تجتمعا في شخص واحد الاولى الحسن البديع حتى انها عدت بين مفردات الحسان القليلات في انكلترا والثانية جمال العقل فكانت نابغة اترابها في الذكاء والمعرفة وقد

امتازت بقرض الشعر بين رصيفاتها في المدرسة وظهرت لها منظومات مطربة ابداعها « الوردة الصفراء » وهي حكاية مؤثرة في قصيدة طويلة اخذت شهرة سية في عالم الشعر والفتاة لم تتجاوز لذلك العهد العقد الثاني من العمر

ومع انها كانت بين الحشد في يمين المقدمة كانت معظم الابصار تتراعى عليها والقلوب تهافت اليها وقد طمع باستيهاج فؤادها والظفر بيدها اكثر الشبان النبلاء والاغنياء في انكسار . ولم يفقد هذا المتمع الا الجبان وضعيف القلب الذي ليس عنده برهان يقنع نفسه بكفاءته لها بالرغم مما فطر عليه كل انسان من الغرور . وكثيرون من الشبان اجتهدوا ان يحصلوا على اوراق الدعوة الى تلك الحفلة لانهم علموا ان اخاها المستر روبرت بنتن سينال شهادة البكالوريا فلا بد ان تكون هي هناك

على ان المس لويزا بنتن لم تكن لتعبأ باحد من الحضور الذين كانوا يصوبون سهام لواحظهم اليها فكانت تلك السهام ترصد عن مجن اغفالها مكسرة او مشعثة الرؤوس . بل كانت تنظر في الغالب الى منصبة المنتدى قلقة كأنها تنتظر وقوف الخطباء الواحد تلو الآخر على ذلك المنبر السني وكانت وقائع الحفلة مقصورة على اربع خطب صغيرة من نوابغ المنتهين من جل دوائر المدرسة وخطاب ضافي الذبول لاحد مشاهير العلماء وخطبة توزيع الشهادات للرئيس . فكانت لويزا تتربق انتهاء اول هذه الخطب بفروغ صبر الى ان كانت نوبة خطيب الدائرة العلمية المستر ادورد سميث وهو شاب في الحادية والعشرين من عمره بشموش الحميا سعيد

الطلعة رقيق الطبع رضي الخلق اشتهر بين اقرانه بطيب قلبه وكرم اخلاقه
 ونبالة نفسه كما اشتهر بمحمة ذهنه وصفاء مخيلته وعرف بينهم شاعر المدرسة
 فلما وقف في المنبر دوت رحبة المحفل تصفيقاً له . ولويزا بنتن اعتدلت
 في كرسيها ومالت شيئاً الى الامام كأنها تستعد لان تستوعب ما يلقيه هذا
 الفتى . وكانت خطبته قصيدة عنوانها «الترجسة الذابلة» وهي حكاية حال .
 وكان ذلك الفتى الشاعر كتلة مغنطيس فما امتثل في المنبر حتى اجتذب
 اليه الابصار كلها عن مس لويزا بنتن ولم يفته بيت من قصيدته الا تبعه
 الحضور بدوي من التصفيق

*
* *

ولا نشغل القارئ الكريم بوصف تلك الحفلة الزاهرة وما اشتملت
 عليه من مجالي الابهة والجلال ولا سيما عند توزيع الشهادة فنضرب عن
 كل ذلك صفحاً وننتقدم الى ما كان عند انتهاء الحفلة
 انتهت الحفلة وامتزج الناس بعضهم ببعض امتزاج الصهباء بالماء يجيئون
 الصديق صديقه والقريب قريبه ويهتئون الشبان الذين نالوا الشهادات
 العلمية والفنية على اختلاف انواعها ويتجادون في ماراوا وسمعوا من محاسن
 الحفلة وامجادها . وكانت «الترجسة الذابلة» موضوع حديث الكثيرين
 والفتى ادورد سميت مقصد جميع المهنتين تقريباً كأنه عريس خرج من
 تحت يد المكال او ملك برزت تحت التاج . تجاذبه الكل يعرفونه بانفسهم
 ويهتئونه الا اللايدي بنتن وابنتها وابنها فبقوا واقفين في مكانهم يراصدقاؤهم
 بهم يهتئونهم بحصول اللورد روبرت على الشهادة العلمية . وكان روبرت

وادورد الشاعر صديقين حميمين جداً تشابهت اخلاقهما في اعتبارات حجة وان كانت قد اختلفت مواهبهما بعض الاختلاف لانه بينما كان يصعد ادورد في سماء التخيلات الشعرية كان روبرت يتعمق في اسرار الحقائق العلمية المادية وقد نال الامتياز في دراسة الطبيعيات

وكانت لويزا ملكة ذلك الحشد تتبع بابصارها ادورد في تخالؤه بين الجمهور حتى رآته وقد صار قريباً من مكانها ووجهته اليها وكانت اذ ذاك تحدث صديقة لها تدعى مس ماري جنستون واخوها روبرت يشترك معها في الحديث وامهما لاهية بحديث مع اللايدي جنستون فقالت لويزا - كيف رأيت خطب الاحتفال يا مس جنستون

- كلها شائقة واظنك انت فضلت الشعري منها. فضحكنا سماً

- نعم على الغالب . وانت ؟

- اقول لك الحق وان لم اكن شاعرة فقد رأيت ان قصيدة المستر ادورد

حلية الاحتفال

- اتعرفينه ؟

- الآن تعرفت به قرأت منه شاباً على غاية من التهذيب

وانت يا مس بنتن اتعرفينه ؟

- كلاً الى الآن. مع انه صديق روبرت ادورد فلم يخطر لي ان اتعرف

به قبل الآن ولكن لما رأيت في لائحة (بروغرام) هذه الحفلة عنوان «الترجسة الذابلة» بجانب اسمه تفت ان اسمعه لأرى كيف يصور هذه

الترجسة ذابلة ولما سمعته صرت ارجب ان اتعرف به

فقال اخوها روبرت : - كيف رأيت صورتها يا لويزا

- الحق انها نرجسة ذابلة

- ها هو قريب لنا

ثم اوما روبرت الى صديقه ادورد ان يتقدم . ولما دنا ادورد منهم قدّمه روبرت الى امه واخته ومن معها فبشت له اللايدي بتن بشاشة الود لانها كانت تسمع عنه الشناء الطيب من لسان ابنها روبرت وتعرف انها صديقان . وبعد ان هنأته عادت الى حديثها مع اللايدي جنستون ولم تزد على التهينة لانها كانت مشهورة بانقتها وكبرياتها

اما لويزا فبالرغم من خيلائها التي كسبتها من امها ابتسمت له ملء شفيتها لما قدّم لها وصاغت كصديق قديم قائلة :

- اهنتك يا مسترسميث « بالنرجسة الذابلة » اما الشهادة فاهنتها بك

لان مصور النرجسة هذا التصوير لا تزيده الشهادة تعريفاً وانما هو يزيد لها فصاحةً في بيان معرفته

- اشكر لك تفضلك بهذا الشناء يا سيدتي . وارك قد انعشت النرجسة

من ذبولها بهذا الاغراق في الاطراء

- لا اغراق يا مسترسميث . اتظن ان هذه الشهادة تعرّف العموم

او الخاصة بك كما تعرفهم هذه القصيدة الرنانة؟ وحسبك شهادة دوي المحفل

اليوم بصدى الشناء على اجادتك

- ان كان « للنرجسة الذابلة » محاسن يا سيدتي فانما هي مستمدّة من

« الوردة الصفراء » كما يستمد القمر نوره من الشمس

فصعدت حمرة الحياء الى وجنتي لويزا وومض برق الابتسام من بين شفثيها وقالت :

- اظنك قرأت « الوردة الصفراء » في مجلة « حياة المرأة » ؟

- بل حفظتها عن ظهر قلبي . ولما كنت انظم نرجستي كانت وردة

المس بنتن توحى الشعر الي . فمنها تنبتهت الى كل تخيلاتى الشعرية من مجاز واستعارة وكأني كنت أنسخ لا ابتكر

- اذا كنت قد نسخت حقيقة فلم تكن اميناً في النسخ لان النسخ

جاء اتقى واصفى وابدع من المنسوخ عنه . ولكني لا اراك ناسخاً بل واضعاً نموذجاً لمن ينظم في مثل هذا الاسلوب الذي تحديته في نظم النرجسة . فانا اشكر لك هذا الدرس الذي استفدته اليوم منها والذي ساستفيد في ما بعد من التأمل فيها متى قرأتها حيث تشر

- لقد ابكمتني يا سيدتي فاني لا اقدر ان اباريك في مضمير المجاملة

ولا اراني استحق هذا الاطراء الذي تفضلين به تشيظاً لي

- معاذ الله ان اجامل مجاملة وانما هو اعتقادي اعلنته لك

- إذا أوئل ان اكون يوماً ما شاعراً لان ثناء من شاعرة مثل اللايدي

لويزا بنتن هو اعظم شهادة اتلقاها اليوم وهو يعمدني بقوة جديدة ويحمسني

على استكداد قريحتي في النظم

عند ذلك قصرت مس بنتن الحديث كأنها انبتهت الى انها تطرقت

فيه الى ما وراء الحد السائغ لمثلها ان تجامل صديقاً جديداً . فاستأنفه

اخوها المستر روبرت قائلاً لصديقه

- افكرك يا عزيزي ادورد منذ الآن بحفلة الأانس التي ستنعقد من الاصحاب والاقارب في قصر كنستون يوم الاثنين القادم . وبعد غد تنتهي اليك رقعة الدعوة فان بدا اي مانع لحضورك ارجو منك ان تزيله فاني احسب ان وجودك معنا ركن من اركان الحفلة لاني ساكلفك بمحاضرة بعض المدعووات عند اللزوم

- لا انسى ولن انسى يا عزيزي روبرت ذلك اليوم السعيد المنتظر بل اترقبه بصبر وسيان ارسلت لي رقعة الدعوة او لم ترسلها فاني انضم اليكم واكون كواحد من البيت

- اني اسر جداً بدالتك هذه يا ادورد وابدالك مثلها ولهذا اجتنب ان اشكرها لك لاني اعتبر ان الشكر والدالة متنافيان فلا يجتمعان

عند ذلك دنا احد اصدقاء ادورد فقال هذا اليه بعد اذ اعتذر من آل بنتن وانحنى لهم . وعمما قليل اخذ الحشد يفرغ من المنتدى جماعات وافراداً الحق ان لويزا ابنة اللورد بنتن قد سخت جداً بالثناء على ادورد سميث الشاعر الجديد خلافاً لعاداتها وخلقها فانها ينذر ان تندهش لمدهش او ان تعجب بمعجب او ان تقرظ امرأ حسناً . وان فعلت فبشع وتفتير . كانت كذلك لسببين اولاً لانها مكتسبة من امها طبع الخيلاء والتميه والانفة وثانياً لانها كانت ذات مواهب نادرة . ولهذا لم يكن الناس ليستنكروا تيهها لانها كانت تستحقه

ولكن ما الذي استنزها عن عرش افتخارها وازدهائها الى مجاملة ادورد سميث وتبليغ الثناء عليه واطراء شاعريته مع انها هي شاعرة فكان

ينتظر ان تكون حسوداً؟ — هنالك قوة تفوق قوة الشمم والخيلاء وهناك جزء في الشخصية الانسانية يسود احياناً على سائر اجزائها . النفس هي الجزء الرئيسي في الشخصية الانسانية وانما تتأس بقوة الشمم . ولكن يحدث احياناً ان يتغلب الحب على الشمم ويفتصب القاب عرش الرئاسة من النفس ويستوي مكانها في منصة السيادة على الشخصية ويكون الأمر النهائي

والظاهر ان روجي لويزا وادورد تماستتا في الجو الاثيري فنشأ من احتكاكهما شرراً يقظ الحب في قواديهما وجعل يلهيه . هكذا استقوى قلبها على نفسها وغلب حباخيلاءها فلم يصعب عليها ان تبالغ في اطراء ادورد وتقرىظ شاعريته

اما ادورد فقد لمست قلبه تلك الشرارة وايقظت حبه منذ قرأ « الوردة الصفراء » واعجب بها وصار يتوق ان يرى ناظمتها . نعم انه كان صديق روبرت اخيها ولكن صداقتهما حديثه العهد جداً لم تتمكن الآ في العام الاخير وقد زادها ادورد تمكناً بعد قراءة « الوردة الصفراء » اذ شعر بزيادة الميل الى روبرت وصار يراه مجموعة محاسن تحب . كذا النفس اذا طمعت بامر عرفت كيف تمهد السبيل للوصول اليه . صداقة روبرت سبيل للتعرف بلويزا . هكذا توقع ادورد وهكذا صار

ولم يكن ادورد ليتأدى في محادثة روبرت عن اخته لئلا ينبه ظنونه فلم يحدثه عنها سوى مرة بعد قراءة قصيدتها مقرّظاً اياها — ولا ريب ان روبرت ابلاغ الى اخته ذلك التقرىظ في حينه وكان بلوغه بدء ترفرف الروحيتين .

في الفضاء ليتصادفاً وتماماً - ولذلك لم يقدر ادورد ان يعرف شيئاً عن
 لويزا لينشيء في مخيلته صورة لها وجل ما عرفه عنها انها درست في دائرة
 البنات في جامعة أكسفورد وانها انتهت في العام الفائت . وانما استنبط ذهنه
 من معاني قصيدتها صورة تقريبية في مخيلته . فلما رآها وحادثها وجدها
 تشبه الصورة الخيالية التي صورها في ذهنه بعض الشبه بيد انها اسمى
 واتم . فعاد الى بيته ملتهب الفؤاد بحبها ولكنه قليل الطمع بها لانها من
 الاشراف وهو من العامة وبين الطبقتين حجاب كثيف يندر ان يُنفذ منه .
 فكان الى ذلك الحين يقنع بالحب العقيم ويعال النفس بلقائها يوم الاثنين
 القريب في حفلة الانس التي ستعقد في قصر كنستن اكراماً لنيل اخيها
 الشهادة . وما كان سروره بشهادته وباطراء الناس لقصيدته نقطة في بحر
 سروره بامل الالتقاء بها

الفصل الثاني

« ارشاد الى غرام »

في شارع ب . في ضواحي لندن منزل فخيم يضاهاهي قصور الاشراف
 ابهة وجلالاً وحوله حديقة غناء تزيد سناءً وجمالاً وفي احدى غرف ذلك
 المنزل سرير انيق قد اضعج فيه رجل مريض استتم طور الكهولة واستوفى
 حكمة الشيوخ ولكنه لا يزال يستوعب هممة الشبان وعزمهم يدعى المستر
 جوزف هوكر . وقد جلست لدى سريره ابنته مس أليس هوكر على كرسي

هزاز تشتغل شغل الأبرة وتحدثُ ابها

اما المستر هو كره كبير ذو معامل واملاك وليس له من الاولاد سوى ابنته أليس المذكورة وهي وريثته الوحيدة وقد عني بتعليمها وتهذيبها وتدريبها حتى جعلها كالوردة النضيرة تنتظر قاطفها . وقد تناولت اليها نواظر قاطفها فحرسها ابوها عنهم ضناً بها وطمعاً بان يعدّها لها نصيباً امجد واسمى مقاماً . وكان في سرّه مشروع لهذا الامر يمهّد له السبيل منذ عدة اعوام

اما أليس ففتاة رقيقة الجسم عادلة القوام عصبية المزاج لينة الجانب صبورة طائعة لاوامر ابها مهما كانت قاسية لانه عودّها هذه الطاعة منذ صغرها حتى بلغت الحادية والعشرين من العمر . وكانت امها قد توفيت الى رحمة ربها وهي حديثة ولهذا كان لا يها اليد الطولى في تربيتها بينما كان منتدى جامعة كبرديج غاصباً بالمتفيلين كان المستر هو كره يخاطب ابنته قائلاً :

- الآن في هذه الساعة يا أليس يكون ادورد ابن عمك على المنبر يلقي قصيدته الرنانة « النرجسة الذابلة » ولا ريب ان المنتدى يدوي الآن بتصفيق الحضور استحساناً واعجاباً لان القصيدة بديعة . ألا ترىها بديعة يا أليس ؟

- بالطبع اراها كذلك . ولكن اتظن يا ابي ان الحاضرين يستحسنونها كما استحسانها نحن ؟

ولم تفت ابها ملاحظة ابتسامها وتورّد خديها القليل

- من غير شك . اعيدتها على مسمعي الآن يا أليس . ها نسختها على

المكتب . تناولها

- كأنك تقول يا ابي انه اذا فاتك حضور الحفلة لسبب مرضك لا

يفوتك سماع القصيدة في حينها

فضحك ابوها ضحكة الاعجاب بتأويلها هذا

- صدقت . اذا لا فرق عندي بين ان يلقيها ادورد او تلقيها انت فكلما

الصوتين مستحب عندي . ولا ريب اني تأسفت جداً لعدم امكاني حضور

الحفلة ورؤية ادورد على منصة المحفل يلقي خطابه معجباً ويتناول الشهادة

المدرسية مفتخراً . وتأسفت بالاكثير لعدم ذهابك انت يا أليس

ورجوعك معه .

- كنت اود ذلك جداً يا ابي ولكن يستحيل ان اتركك مريضاً بين

يدي الممرضة والخدم

- ولكن حالي لا تستوجب قلقك يا حبيبتي ولم تكن داعياً كافياً

لان تحرمك حضور حفلة سارة هي الحفلة الوحيدة التي ينال فيها ابن عمك

شهادته العلمية

- اسفت جداً يا ابي ولكن لم يطاوعني ضميري ان اتمتع بمحاسن حفلة

كهنده وانت تتقلب على فراش الحمى

- بارك الله فيك يا حبيبتي

ثم تناولت أليس القصيدة وجعلت تتلوها بتأن وكانت عند كل مجاز

جميل تقف او يستوقفها ابوها ويتباحثان في المغزى وابوها يظهر الاعجاب

وهي تبسم الى ان انتهت القصيدة

- أرايت يا أليس ان ادورد نابغة وسيكون يوماً من فحول الشعراء إن شاء الله وينال شهرة واسعة . الأيسرك ان يكون ادورد كذلك ؟

- من غير شك يسرني وافتخر به

- افتخرين به كحبيب او كقريب يا أليس ؟

فامتقع وجه ايس حياءً من هذا الاملاع وخشيت ان يتمادى ابوها

في استطلاع ضميرها واكتشاف اسرار قلبها ولذلك اطرقت صامتة

- مالي اراك قد خجلت يا ابنتي . أعار ان تحبي ابن عمك وهو نابغة

اقرانه ؟ وهل تظنين ان عواطفك نحوه خفيت علي فاني كل يوم الاحظها

فيك مراراً وامس سمعت اسمه يتردد بين شفقتك وانت تحلمين واول

امس كنت في الحديقة جالسة تتأملين فبمن كنت تفكرين ؟ ايس بادورد ؟

فابتسمت ايس تحت محياً مكفهر وانكلمت ضمن ثوب من الخجل

حتى كادت تصبح نصفها حجماً

- لا تظني ان حبك له خفي علي يا ابنتي ولا تظني ان هذا الحب

يسوؤني بل يسرني جداً اذا كان ادورد يبادلك مثله . خفي ادورد يا أليس

حبيه فهو النصيب السعيد الذي اعدته لك منذ حادثته الى الآن ولسوف

ترين انك تكونين معه سيدة تفاخر الدوقات والبرنيسات والكونتسات .

فتهلل وجه أليس بشراً وخفق فؤادها طرباً لهذا النصيح لانه جاء

كلهم لجرح فؤادها

- ان ادورد اعظم جداً مما تعرفينه وتتصورينه يا ايس وهو نفسه

لا يدري قيمة نفسه ولكن ان صرتما زوجين - ولا اهنأ الا اذا صرتما

كذلك - ترين المجد الذي يحفُّ بك وترين ادورد يتبوا عرش مقامه الذي
كتبت له في صدر الدهر

ولم تكن اليس لتقدر مغزى هذا الكلام قدره ولا ابتمد فكرها الى
ما فيه من الالغاز بل ظنته كلاماً اعتيادياً يقصد به ابوها مجرد الترغيب
والتحبيب ولهذا كانت تراه فضولاً لان قلبها اصبح في غنى عن كل ترغيب
وبعد سكوت هنيهة استأنف الكلام قائلاً :

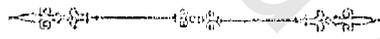
- بل ازيدك علماً ان هذا المجد الممد لكما مترتب على اقترانكما يا اليس فان
كان لكما حظ سعيد وقدّر لكما ان ترقيا الى قمة مجد باهر وتجاريا اشراف
انكثرا وتمتعا بكل حقوقهم - ان كان قد قدّر لكما هذا النعيم فتقترنان وان
لم تصيرا زوجين عاش ادورد كأبسط عامة الناس ولم تفرقي انت عن العامة
الا كما يفرق اغنياؤهم عن فقراهم

وكانت اليس تسمع هذا الكلام مطرقة حياء لا تنبس ببنت شفة .
وماذا تقول ؟ بيد انها فكرت في كلام ابوها هذا قليلاً ولكن شجون هواها
غلبت على افكارها فما لبثت ان سحت من مخيلتها كل فكرة غير الفكر بما
يتعلق بادورد حبيبها . ثم عاد ابوها يضرب على ذلك الوتر نفسه

- نعم لا تخجلي يا ابنتي ان تحبي ابن عمتك ولا تكتمني حبه فهو حب
موافق لك وله . ولو كنت تسلمين قلبك لسواه اياً كان لكنت انكره
عليك لاني اضن بك على غير كفئك ولا اري اكفاً لك من ادورد . ولا
اخشى ان تهوّرني في محبته قبل ان تستمليه اليك وتضطريه ان يطلب
يدك من تلقاء نفسه

ولا ريب ان القارىء الذي يجهل خفايا المستر هو كمر واسراره يستهجن
 حديثه هذا مع ابنته . بل هو مستهجن على اي حال . ومهما كانت الاحوال
 الداعية اليه فلا يليق باي الابوين ان يُفري ابنته او يزين لها ان تحب
 شخصاً لم يطالب يدها بعد

كثيرون من الوالدين يرتكبون غلطة المستر هو كمر نفسها ولا يندران
 تقضي هذه الغلطة الى نتيجتين وخيمتين الأولى ان الفتاة تخلع برقع الحياء
 وتبذل الى ان يخشى من تهورها . والثانية ان الفتاة كقطعة مغنطيس ذات
 طرف جاذب وطرف دافع فجاذبيتها في حشمتها وتعففها ودافعيتها في تحببها
 وتبذلها . وكلما ألوت الفتاة الى الشاب ابتعد عنها ومهما سمعت وراءه لا تقدر
 ان تناله . وبالعكس كلما اعرضت عنه اقترب منها حتى اذا رضيت نالها



الفصل الثالث

« سُبْحَةَ لِعَسْبِقَةَ »

في مساء ذلك النهار عاد المستر ادورد سميت من ايدنبرج الى بيت
 خاله المستر هو كمر وفي يده شهادته العلمية وفي صدره آمال وفيرة وفي قلبه
 جذوة حب . فاستقبلته أليس بشعر بسام وتلاثما تلاثم الاخوين وتقدما الى
 غرفة المستر هو كمر فرأى ادورد خاله مستلقياً في سريره فقبل يده وذلك
 قبله قبلات الاب الحنون وفي مقلتيه دمعات فرح وسرور وعلى محيا
 ادورد تهلل وبشر

- لقد ساءني جداً خبر مرضك ايها الخال العزيز

- لا يسؤك يا حبيبي فانه عرضي لله والحمد لله

- كيف ترى نفسك اليوم

- احسن جداً . والطبيب يقول ان نوبة الحمى الاخيرة كانت نتيجة

فعل الكينا الذي اخذته . ولي الامل ان تكون هي النوبة الاخيرة وغداً

او بعد غدٍ اخلي السرير

- اشكر الله على سلامتكم يا سيدي

- اهنتك يا نبي بشهادتك وبما قدّرته لك من ثناء القوم على قصيدتك

البديعة . وبينما كنت تلقيها في محفل جامعة كبردج كانت لوزنا تلقيها عليّ

هنا وقلبي يشترك مع المحتفلين هناك بتصفيق الاستحسان

فخني ادورد رأسه حنية التواضع والحياء واستمر المستر هوكر في

اطرائه له

- بل نهنيّ انفسنا بك ايها الحبيب ونتمنى لك مزيد الارتقاء والنجاح

واسأل الله ان يوفقك في مستقبلك القريب الذي اتوقعه لك سعيداً مجيداً

ان شاء الله

وكانت عينا المستر هوكر مغرورقتان بدمع الحنان والانعطاف وعينا

ادورد تجاوبهما بدمع افيض من دمه

- لا أعجب ان اسمع منك يا سيدي هذا الدعاء القلبي وانت مني

في منزلة الاب الحقيقي العطوف . ألسنت انت الذي ربيتي وعلمتني؟ وهل

اعرف اباً سواك؟ فلا بدع ان تسرّ بان تراني راقياً ناجحاً . واسأل الله ان

يقدرني على ان اكون لك ابناً طائعاً باراً

- بل أسراً يا حبيبي بان ارى ثمرة لغرس يدي وتحقق انت عنايتي

بك لم تذهب سدى

وبعد حديث هنيئة قرع خادم المائدة الجرس المؤذن بالعشاء فقام

ادورد وأليس الى المائدة وجلسا الى الخوان متقابلين . وبعد هنيئة ابتدأت
أليس بالحديث قائلة :

- أسفتُ جداً يا ادورد على اني لم استطع ان اترك ابي تحت فعل

الحمي واحضر الحفلة في كبردج

- وانا أسفتُ جداً وتكدرت لمرض خالي ولا سيما في هذا الوقت الذي

كنت اشتهي فيه ان اراكا في تلك الحفلة الزاهرة مع من رأيت من اهل
اقرابي الذين كانوا يصفقون لهم عند تناول شهاداتهم

- هل افكرت في يا ادورد وانت تفتخر بمجديك اليوم؟

- أتشكين بذلك؟

- كلاً. لا اشك لاني اذكر الآن جيداً اني لم افكر بسواك يوم نلت

شهادتي في السنة الماضية . ولكن شتان بين يومي ذاك ويومك هذا وبين

شهادتي وشهادتك

وكان ادورد يسمع هذا الشئ ويعجب بنفسه ويعجل في تناول الطعام

ومضغه وازدراده على غير انتباه كأنه يتم واجباً عليه وذلك لان خمرة

الفوز اسكرته

- كنت اتمنى جداً يا أليس ان تكوني بين الجمهور وترى اعجابهم باني

- عمتكِ وتسمعي اطراءهم له
- اذا افكرت بي كثيراً؟
- أليس افكاري بك طبيعياً؟
- اذا كنت قد افكرت بي الافكار الطبيعي فكأنك لم تفكر اذاً
- عجيب . ماذا تعنين؟
- اعني انه ليس بدءاً ان تفكر بي وتود ان اكون مع من كان في الحفلة لاني ابنة خالك وكلانا ربينا في ظل بيت واحد . فافكرتك بي على هذا النحو يُنتظر من كل واحد حاله مع قريبته كحالك الظاهرة معي . ولكن سؤالي هو هل افكرت بي اكثر من المنتظر؟
- افكرت بك يا أليس كثيراً . ومهما كثر افكاري بك فهو المنتظر .
- الا يُنتظر مني ان افكر بك كل الافكار؟
- نعم نعم . اذا لا تزال تحبني؟
- وهل يمكن ان تنقضي محبتي لك
- فضحكت لويزا قائلة بلهجة الهازلة :
- قلت في نفسي : لعلك صادفت من يشغلك عني
- فوجه ادورد عند هذه العبارة والتهبت وجنتاه اذ خطرت له في الحال مس لويزا بنتن وكاد يبدو اضطراب منه يفضح أعراض سرّه
- هي اني صادفت سواك يا أليس فهل تبطل محبتي لك؟ هل انسى
- عشرة عشرين عاماً؟ وهل انسى رسائلك لي ونحن في المدارس؟ هل انسى ايام تنزهنا في قرى الريف؟ ما الداعي لارتياك في حبي؟ هل رأيت فيّ تغييراً؟

- كلاًّ ليس التغير فيك يا ادورد بل فيّ

- اتغيرت انتِ عليّ؟

- نعم تغيرت ولكن ليس عليك

- كيف ذلك؟

- صرت اشد حباّ لك يا ادورد

وانغرو رقت عيناها بالدمع فادرك ادورد تمام قصدها

- أو لم تحبيني قبلاًّ تمام الحب يا أليس؟

- نعم احببتك من كل قلبي حباّ تاماً

- فكيف احتمل حبك المزيّد اذاً؟

فهمست أليس لنفسها والعرق يندي عليّ بجبينها قائلة :

- لا ادري

- وانا احببتك من كل قلبي ولا ازال احبك

- ولكن

فصمت ادورد هنيهة كأنه يريد ان يحتّم هذا الحديث لانه خاف

ان ينتهي بما يكدرها او يكدره . وقد تعذر عليه وهو مرتبك ان يتخلص

الى حديث آخر . فعادت أليس الى « لكن »

- لكن اود ان تعرف يا ادورد ان حبي لك الآن يختلف عن حبي

لك قبلاًّ

- مهما يكن فهو حبُّ يا أليس وانا احبك قدر حبك لي بل ازيد

- كلاًّ يا ادورد حب الشبية يختلف جداً عن حب الصبوة . ألا

تعترف بذلك؟ فأي حبّ تحبني انت؟
 وكان صوتها يرتجف شيئاً ولكنها كانت تتذكر كلام ابوها الآخر
 لها فتشجع في الحديث

- نعم أعلم أنّ المحبة تنمو مع السن فتصير أسمى واشدّ اخلاصاً فانا
 احبك حباً يسابقتي في النمو يا أليس

فتعلمت من زيفانه عن المعنى الذي كانت تحوم حوله وتحاول ان
 تجتذب ذهنه اليه فلم يجتذب وعادت تتلمّظ الطعام بسرعة كأنها افحمت
 ولم يعد امامها مجال للحديث فابتسم ادورد لفوزه في هذه المحاورة ونشط
 الى استئنافها لكي يتغلب تمام الغلبة ولا يدع باباً مفتوحاً تدخل فيه أليس
 الى هذا الحديث في حين آخر

- اني لا عجب كل العجب يا أليس من تعمقك في البحث عن حيي
 لك كانك تشكين فيه وما كنت اظنك تشكين مها طال عليه العهد
 وتغير الزمان ولا اري موجباً لهذا الحديث الآن

قال هذا الكلام وعلى محياه لمحّة الجدّ فتكلمت أليس الابتسام كأنها
 تتلأفي عبوسته وقالت :

- لم اشك يا ادورد بحبك لي وليس غرضي ان اتحققه . وانما بغيتي
 ان اكشف لك سر فؤادي لتعلم ان حيي لك الآن ليس كحيي لك في
 الماضي ...

وتوقفت على عزم ان تستمر في البيان فاجابها في الحال

- اعلم انه صار اقوى مثلاً صار حيي لك

- ليس تغيره من حيث القوة يا ادورد بل من حيث النوع
- لا اعلم كيف الحب يتنوع
- انت شاعر وعلامة فكيف لا تعلم تنوع الحب ؛ فكيف تشعر بالحب ؛ واذا كنت لا تشعر بانواعه فكيف تنظم ؛ انا اعلم ان الشعر من الشعور فلا اصدق انك تجهل ان الحب انواع يختلف بعضها عن بعض كل الاختلاف
- مثلاً ؟
- قال ادورد هذه الكلمة بلهجة التهميم كأنه يهزأ من فلسفة أليس ويأمن فوزها عليه في الجدل وإفحامها إياه
- أتريد ان اضرب لك مثلاً على تنوع الحب ؛ أم ان افصل لك انواعه تفصيلاً ؟
- اكتفي بالمثل ومنه يتضح التنوع
- صدقت . ألا تعتقد ان حب الزوجين نوع وحب الاخوين نوع وحب الآباء للابناء نوع وحب الاصدقاء نوع الخ ؛ فضحك وقال :
- وهل هناك انواع آخر ايضاً ؟
- نعم ولا داعي لعمدها كلها
- واي نوع من هذه يجب ان يكون حبنا يا أليس
- لا تقل يجب لان ليس في الحب وجوب بل قل اي نوع هو
- اي نوع هو ؟

— هذا ما أسألك إياه

— أ يكون حبنا غير حب الاخوين العزيزين يا أليس ؟ او هل من حبٍ اسمى واقوى من هذا الحب ؟

وكان هذا الكلام كومضة كهر بائية عبرت في بدن أليس فزلزلت عظامها ونقضت عضلاتها وكادت تجمد الدم في عروقها . فشدت قابها وطرحت نقاب الحياء عن محياها معتقدة انها لا تأثم بهذا الافصاح

— نعم يكون يا ادورد . واود ان تعلم ان حبي لك حب فتاة لشاب وهو اقوى جداً من حب الاخوين والابوين بل اقوى من كل حب حتى من حب الزوجين . اما ادركت ذلك ؟

فاكفهر وجه ادورد لهذا الافصاح وانعقد لسانه فازدادت أليس جراءةً في الحديث

— اني احبك يا ادورد حباً يستقمني ببعذك ويشغل فكري بك دائماً ويحرمني النوم ويمنعني عن كل لذة لا تشترك انت فيها معي . واعد نفسي اسعد العاشقات لانك اجمل المعشوقين شكلاً وعقلاً ولانك مقيم معي في كل حين امام عيني كما انك في قلبي

عند ذاك اخذ ادورد المسألة بالجد ورأى انه من الواجب ان يعلن حقيقة قلبه لئلا تخدع أليس وتبني القصور في هواء الاوهام

— ولكن حب الاخوين بيننا اغلب من كل حب يا أليس . نحن ربينا في بيت واحد وتعودنا منذ الطفولية ان نعتبر انفسنا اخاً واختاً . وقضينا نحو عشرين سنة تحت هذا الاعتبار فكيف نقدر ان ننقض في ساعة واحدة

ما بثته طبيعة الحال في عشرين سنة . مهما تغيرت احساساتنا وتنوعت
عواطفنا وترقت اميالنا فلا اقدر ان انظر اليك الا كما كنت . اعاشرك يا أليس
واتنزه معك وارقصك واضمك واقبلك وانا اشعر اني اقبل واضم واعاشر
اخْتًا . ولا ارى قلبي يجيد عن هذا النوع من الحب

فامتقع لون أليس واكد اكداد الشمس في حين الكسوف الكلي
ورأت قصور الآمال التي كانت تبنيها في هواء الاوهام هابطة امام بصيرتها
- اما انا فاحبك يا ادورد حب عاشقةٍ لاحبٍ اخت
- استغرب ذلك جداً يا أليس ...

- لا تستغرب . ألا ترى في كل ظاهرة من ظواهر الطبيعة نوعاً من
التحوُّل ؟ فالتحول ناموس طبيعي يطلق على كل شيء حتى الحب . الا
ترى البرتقالة في اول امرها خضراء ثم تبهرت خضرتها شيئاً فشيئاً حتى متى
نضجت مع الزمان صارت مشبعة الصفرة . هكذا مرور الزمان وانفصالنا
الواحد عن الآخر في المدارس كفيما لتحوُّل الحب من اخويِّ الى غراميِّ
وكان بعد ذلك سكوت طويل فادورد يتأمل في كيف يحوُّل قلب
أليس عنه وأليس تتأمل في ماذا يكون جوابه وتفكر في كيف تجتذبه وقد
طمعت جداً في استمالته لانها ظنت ان اعلان حبها له يستميله . لم تعد
أليس الى هذا الحديث في ذلك المساء ولا في اليوم التالي وانما كانت تلاطف
ادورد جداً وتضاحكه وتعنى به وبكل شيء يخصه ولا تدخر جهداً في
مسرته حتى جمعت الاهتمام به شغلاً للشاغل . اما هو فكان يبسم لها عند
كل امر ويشكر لطفها ويتجنب ما استطاع عنايتها واهتمامها به

الفصل الرابع

« منظر على قلب »

وفي مساء اليوم التالي وردت الى ادورد رقعة الدعوة من صديقه اللورد روبرت بنتن ففضها بشغف باسم ووجهه باش كأنه يتوقع ان يرى فيها كتابة من يد لويزا ولكن لم ير . ولماذا يرى ؟ — لم يستغرب ان لا يرى كلمة منها في رقعة الدعوة لانه يعقل الامور جيداً . ولكن هو القلب يطمع بالكثير حتى بالمستحيل . فهو لم يكن ينتظر كتابة من لويزا ولكنه كان يتمنى ان يرى كتابة منها له . وكان قلبه يقول : « ماذا يمنع ان تكتب لي حرفاً اذا كنت وقلها قد اصبحنا في مهد حب واحد . لماذا تقضي المنظمات الاجتماعية ألا يتكاتب المحبان حالما يصبحان حبيبين ؟ ولماذا تقوى هذه المنظمات على الحب بل لماذا تخضع القلوب المستقوية بالحب للتقاليد والعادات البشرية »

صمة ايها القلب ما تلك المنظمات والعادات الاجتماعية الأوحى اليها الحب بل هي مستمدة من نظمات الحب ونواميسه نفسها . لويزا تتمنى ان تكتب كلمة لادورد ولكن هناك ناهياً اقوى من الآداب الاجتماعية ينهاها عن ذلك وهو اله الحب . وكذلك ادورد يود ان يكتب كلمة للويزا ولكن اله الحب يمسك يده . لماذا يفعل اله الحب هكذا ؟ لانه لو كتب لها وكتبت له في بدء حبهما لانتهى حبهما على اثر ذلك

وكان ادورد يقرأ الرقعة بكل بشاشة وخاله ينظر اليه

- ارى هذه رقعة دعوة يا ادورد . ايمنع ان نخبرنا اي الاصحاب يدعوك؟
 - صديق حميم وقد تمكنت صداقتنا في هذا العام في المدرسة وهو
 اللورد روبرت بنتن . ولا تجهل يا سيدي معزة صديق المدرسة
 ثم ناوله الرقعة فقرأ المستر هوكر :

« اللايدي والورد بنتن يدعوان المستر ادورد سميث الى حفلة انس
 صباح الاثنين الساعة التاسعة صباحاً - الى السادسة بعد الظهر في قصر
 كنستون في حي كنستون »

وكان ادورد يرى لمحة عبوسة تموج على وجه خاله وهو يقرأ الرقعة
 ولم يدرك ما الذي كان يدور في خله . ولكن بعد هنيهة سأله المستر
 هوكر قائلاً :

- وهل تاتي الدعوة ؟
- وعدتُ
- متى ؟
- لما انتهى الاحتفال المدرسي اخبرني اللورد روبرت انه مزعم ان
 يعقد حفلاته هذه في البالي بالباح ان الي دعوته فوعدته
 فتبرم المستر هوكر قليلاً وسكت فعاد ادورد يسأله :
- الا الي الدعوة ؟
- تقول انك وعدت
- نعم . وهل من محظور
- كلاً

اذا لماذا لا اراك راضياً؟

لا بأس. على اني قلما أسرُّ بصداقة قوم كهؤلاء يعتدون باحسابهم ويتكبرون على الناس ويستخفون بالغير ويحتقرون العامة ولو كانوا اسعد حالاً منهم واوسع نفوذاً واعرض جاهاً. يفعلون كل ذلك لمجرد انهم متسلسلون من الاشراف مع ان هنالك كثيرين غيرهم من طبقتهم اودع من الحمام يحترمون الفقير قبل الغني والوضيع قبل الرفيع فبهت ادورد من كلام خاله الذي لم يكن ليرتاب بصحته وقال في نفسه « لا بد ان يكون خالي اخبرني » ولكن قلبه ابى ان يصدق هذه التهمة فسأل خاله : -

- وهل تعرف أسرة اللورد بنتن يا سيدي؟

- كلاً وانما اسمع عنها وعلى الخصوص عن اللايدي بنتن فيقال انها متعجرفة جداً فلا تجامل احداً

- ولكنني لم ار شيئاً من امائر الخيلاء على وجهها لما قدّمت اليها بل جاملتي بكل بشاشة. ولا لاحظت شيئاً من ذلك في ابنها اللورد روبرت كل مدة عشرتي له

ولم يذكر ادورد اسم لويزا الا لانه يابى ان يبررها من الكبرياء بل لكيلا يذبه افكار خاله الى شغل قلبه بها

- اما اللورد روبرت صديقك فقد يكون كما تعتقده واما امه اللايدي بنتن فمشهور امرها. وكونها ابشت لك مرة لا يدل على ان البشاشة من طبيعتها لانها تعرف ان اللياقة تقضي عليها ان تكون لطيفة فتتكلف اللطف على

قدر الامكان . ولكن اذا حضرته برهة قتلتك بكبريائها . هل حادثك ؟
- كلاً . بل اکتفت بتهمتي بعد اذ قدّمت لها ثم عادت الى محادثة

اللايدي جونستن

فهرزّ المستر هوكر رأسه ضاحكاً وقال :

- لو تسنى لك ان تعاشرها بضع دقائق لثبت لك صدق قولي .

ولطالما شكوا الكثيرون من تجبرها وتكبرها

فاستاء ادورد جداً من هذه التّهم التي القيت على اللايدي بنتن

وابي ان يصدقها ولكنه لم يقدر ان يكذبها لان خاله يلقبها وهو لا يشك

بصدق قوله . وحاول ان يدافع ولكن ليس عنده برهان ولا حجة لانه لم

يختبر اختبار خاله ولم يعلم علمه فقال :

- اذا ما رأيك :

- رأيي ان لا تذهب

- ولكن وعدتُ

- تعتذر

- يتعذر عليّ الاعتذار

- ليس شيء متعذر في الوجود

- وماذا يضرنني في ان الي دعوة صديقي وان كانت امه متعجرفة ؟

ليست لي علاقة معها

- ضرر ادبي اهم من الضرر المادي

- ما هو ؟

- الهوان الذي لا تطيقه النفوس الابية
- لا اظن ان اللايدي بنتن تستهين بضيوفها الذين تدعوهم الى منزلها
مهما كانت متكبرة ومتعجرفة
- هي لا تقصد ذلك . ولكن ظهورها بين ضيوفها كله كبر وخيلاء
لا يطيقهما من كان عزيز النفس
- ولكنني شاب لا شأن لي معها وانما اكون اكثر الوقت مع اقراني
واذا شعرت بهوان اعاتب في الحال وانسحب
عند ذلك اقتصر المستر هوكر الجدال واصر على رأيه قائلاً :
- اما أنا فلا استصوب ذهابك واما انت فلك ان تفعل ما تشاء
- لا اشاء ان اخالف رأيك ايها الخال ولكنني اود ان الي الدعوة اولاً
لاني وعدت وثانياً لاني انتظر ان اسر مع عدد عديد من الاصحاب
- وكانك لا تسر بعشرتنا يا ادورد ؟
- انا معكم كل حين
- ولكن اول امس اتيت وبعد غدٍ تعود ؟ فسرعان ماملت الاقامة معنا
وضحك المستر هوكر ضحكة التمليق . وسكت ادورد اذا استنكف
ان يجادل خاله في امر لا يرغب فيه ولكنه اسف جداً لقيام هذه العقبة
في سبيل اجتماعه بلويزا مع انه كان يُعَلِّل نفسه بلقاء سعيد جداً فانتظر
عساه يسترضي خاله قبل الوقت المعين

الفصل الخامس

« مبرح في قلب »

وفي اليوم التالي كان ادورد كل الوقت باهت البشاشة قليل الكلام نادراً الهزل والمزاح كمادته مع أليس . ولم تكن أليس لتجهل ان سبب امتعاضه هو عدم رضا ايها عن تلبينه للدعوة . فحاولت بكل جهدها أن تسره فلم تستطع فحارت في امره لانها لم تكن تنتظر ان ابسط الحفلات يخطف فؤاده عنها . وما علمت ان هناك حبيبة غيرها شغلت قلبه وسلبت ليه

ولما كانا جالسين عصارى النهار في شرفة المطلة على الحديقة قالت له :

- ما كنت اظنك يا ادورد وانت معي يعمتك سبب بسيط جداً ألا تجد في حيي لك مؤنساً يغنيك عن انس تلك الحفلة ؟
- لا ريب انك انس لي من كل انيس يا أليس ولكني وعدت صديقي مشافهة ان الي دعوته ولهذا يشق عليّ جداً ان اخلف بوعدتي
- تعذر له

- باي عذر مقبول صادق أعتذر ؟

- باي الاعذار مهما كان بسيطاً

فتأمل ادورد هنيهة وقال :

- كلاً لا اعتذر . يجب ان اذهب

- يظهر انك ستذهب لانك تود ان تذهب لا لانك مقيد بوعد

والألمة تعذر عليك الاعتذار

فاجاب ادورد على الفور كأنه يجاوب عن تغيُّبِ خفيّ:

- نم قد اصبت

فابتسمت أليس أبتسامة الحليم قائلة: - ليتني اعلم ماذا تتوقع هناك

من المسرّات لعلّي اقدر ان اوفرها لك هنا

- اتوقع اصحاباً متعدّدين اقضي الوقت معهم باللعب والمرج

والضحك والمذاكرة

- صدقت ان عشرتي لا تغنيك حتى عن عشرة الاصدقاء الاعتياديين

فكيف ترضيك ان كنت تطمع بعشرة اشخاص اخصاء غيري؟

والظاهر ان أليس احسّت ان قلب ادورد مشغول بحبّ فتاة غيرها

واستدلّت على ذلك من تغير املوبه في محاضرتها ومن قلقه في بعض

الاحيان وتشوقه الى حضور الحفلة في قصر كنستون .

وكان سكوت برهة وهي تغالط نفسها في ما اذا كان ادورد يحبها

كما تحبه . واما ادورد فكان لاهياً عن هذا الامر بفكر آخر وهو كيف

يسترضي خاله ليذهب الى قصر كنستون ويرى لويزا . وقد كاد يتفرقع

من الغيظ الذي يكظمه وشعر ان تحرش أليس به كان كناية له في

إبّان تغيُّبه

اما أليس فقد اصبحت على شفا اليأس وصارت أرغب من قبل في

استكناه افكاره واكتشاف ما في فؤاده من نحوها وأقلقها جداً مارأته

من فتوره . وغازها بالاكتر سكوته بعد كلامها الاخير كأنه جوابه

الفصيح . فأكمد وجهها وصغرت نفسها و بعد هنيهة اقتضبت ذلك السكوت بصوت خافت كأن مصاريع فؤادها تتكلم لاشفتيها :

- ماذا افعل لكي اعجبك يا ادورد حتى تحبني كما احبك ؟

- تعجيبيني يا أليس واحبك

- ولكن اتحبنى من نوع حي ؟

- احبك كأختي

- ولكني احبك يا ادورد غير حب الاخت للاخ احبك حباً شديداً

فهل تحبني هذا الحب ولو بعضه ؟

رأى ادورد ان الضرب على هذا الوتر كل حين بعد آخر يصمُّ اذني

قلبه فأثر ان يقطعه واستسهل ان يقطعه في تلك الساعة عينها وهو

متغيظ . بل رأى ان المغالطة والمراوغة في هذا الحديث غير محمودة العاقبة

وان الافصاح فيها افضل جداً

- احبك يا أليس اشد احب ولكن حب اخ لاخت لاني لا ارى حباً

آخر يقدر ان يتغلب على هذا الحب ويعزله ليقوم مقامه

- اذاً تخيب آمالي

- بل اكرس نفسي لخدمتك يا أليس

- لا اطلب منك الا ان تبادلي فؤادك

- افهم جيداً ليس في طوقى يا أليس . ليت قلبي طوع ارادتي .

على انى ابذل لك اعز من قلبي . ابذل نفسي أئمن ما في شخصيتي . ابذلها

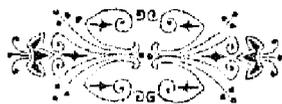
لك رخيصة ولكن قلبي لا اقدر عليه . انت اختي وانا اخوك الى الابد

فطفر الدمع من عيني أليس وأتكتأت على يمين الكرسي ووضعت
خدها في كفها وجعلت تكفكف دموعها بمنديل في يسراها . ثم تهتت
قائلة :

- آه ! منكودة الحظ

- لا تقولي كذا يا أليس فان عديداً من الشبان الاغنياء والوجهاء وذوي
المقامات العالية يلتمسون يدك وبينهم كثيرون ممن يفضلون عليّ بمزايا
ذات قيمة ويمدّون لك مكانة سامية . فما انت منكودة الطالع البتة
عند ذلك اتى المستر هوكر ملتفياً بوشاح كبير من الصوف لانه ملّ
الاضجاج في سريره . ثم قعد في جانب الشرفة بعيداً عن مجرى الهواء
واجال نظره في أليس وادورد ففهم حاصل ما كان بينهما فلم يتعرض لشيء
من الموضوع بل دخل في مواضيع عمومية كأنه لم يلاحظ امراً . ولكن
ادورد لم يقتنع ان خاله خفي عليه ظاهر فشل أليس

بعد العشاء ذهب ادورد الى « النادي الادبي » الخاص ببحرٍيجي
جامعة كمبردج . والمستر هوكر استقصّ أليس ما دار بينها وبين ادورد من
الحديث فاخبرته فحواه لانها استتحت ان ترويه لابيها بجر وفه فلم يعقب المستر
هوكر عايه بكلمة بل تأمل برهة وانفرد في سريره



الفصل السادس

« صديقتي أو صديقتي »

في مساء اليوم التالي لليوم الذي انعقدت فيه حفلة الأُنس في قصر كنستون اجتمع ادورد بصديق حميم من اقران المستر وليم جراي في النادي الادبي فجرى بينهما الحديث الآتي :

- اسفنا كثيراً لعدم وجودك معنا يا ادورد
- عساكم استوفيتم كل ضروب المسرات
- سررنا جداً وكلُّ من كان هناك كان يسائل عنك حتى قلق اللورد روبرت بنتن واكتأب لما طال تأخرُك . وكانت مس بنتن تقول « لا بد ان يأتي . انا أوكد انه يأتي مهما قام في سبيله من العوائق لانه يجب روبرت جداً »

فعضّ ادورد شفته السفلى وشمر بسهم من الألم اخترق فؤاده وكاد يلعن خاله لانه منعه عن حضور الحفلة وظل ينظر الى وليم كأنه يستريد حديثه فاستمر هذا يقول :

- ولما وصل تلغرافك وعرف انك لن تأتي بسبب انتكاس خالك الفجائي تكدر الكل

- لا تدري كم اغتظت من نكسة خالي فكان غيظي منها اشد من حزني عليه لاني كنت اود جداً ان اكون بين اصحابي في هذه الحفلة النادرة
- بالحق انها نادرة يا ادورد ولو كنت معنا لكان سرورنا ضعيفه بلاشك

- كيف كان اهل البيت لكم
 - لم يدخروا جهداً في مؤانستنا ومجاملتنا
 - قيل لي ان اللايدي بنتن متكبرة بل متعجرفة جداً فهل لاحظت شيئاً من ذلك ؟
 - نعم لا تخاو من الاعجاب بنفسها وحب الابهة ولكنها كانت لكل مناً في منتهى اللطف . ولا يخفى عليك ان سيدة كبيرة كاللايدي بنتن لا تقدر ان تتصابي لتلاعب شباناً مثلنا وتضاحكهم ومع ذلك كنا كلنا ممتنين منها للطفها
 - عجيب . قيل لي انها تتجبر جداً الى حد ان تزدرى محاضريها
 - كلاً البتة . نعم انها تترفع وتعجب بنفسها وتفخر ولكن كما يليق بسيدة جميلة مثلها . ولا اظنك تنكر جلال اللايدي بنتن
 - الحق ان الجلال لائق بها . وكيف كانت مس بنتن ؟
 - اما مس بنتن فكانت كالجمامة البيضاء . جامات كل واحد ولعبت وضحكت ومزحت مع كل منا . يا لله ما اسنى هذه الملكة الصغيرة فان كل شيء فيها جميل يا ادورد - حسن صورة وجمال خائق وكال عقل وذكاء حاد ومعرفة واسعة . كانت بهجة الحفلة بل كانت ينبوع كل سرور فتأملت عينا ادورد غيراً وهم ان يسأله ماذا قالت عنه وكيف ذكرته . ولكن التعلُّلُ ألجم لسانه عن هذا الاستفهام فخام حوله بسؤال آخر
 - اما قرأت لكم شيئاً من نظمها الجديد ؟
 - نعم قرأت قصيدة صغيرة نظمها لاجل الحفلة خصوصاً . بالحق

انها شاعرة يا ادورد ولكنها تعجب بشعر لك جدا وكانت تسميك « شاعر النرجسة » فتقول « الآن يجي شاعر النرجسة » بعد قليل يجي شاعر النرجسة .
قال شاعر النرجسة كذا في قصيدته «

فاتضح في وجه ادورد صباح البشاشة عند سماعه هذا الكلام .
وزقزق قلبه في قفص صدره فرحاً وقال عن غير ترو : — « ثم ماذا ؟ »
فابتسم ولهم لهذا السؤال وقال : — اظنها تميل اليك يا ادورد
فتورّد وجه ادورد وقال :

— لا . لا تظن

— بل تميل اليك لانها ذكرتك كثيرا

— وعلى م تميل الي يا اخي ؟

— لانك شاعر وهي تحب الشعر

ثم تطرّقا في الحديث الى مواضيع مختلفة . وبعد قليل انصرف ادورد الى البيت قبل ميعاده المعتاد لانه اثر الاختلاء بنفسه

اضجع في السرير عند الساعة العاشرة ولكن النوم لم يضجع في جفنيه فكان يترجح على سرير التأمّلات ويترنح في سفين من القلق على امواج الافكار وباله يحوم حول امرين : الاول هل تحبه لويزا ؟ والثاني لماذا ابى خاله عليه ان يحضر هذه الحفلة

اما ان لويزا تحبه فراجع عنده لان ما رواه له صديقه المستروليم جراي اكثر من برهان دامغ على حبّ لم يزل في مهد الطفولية . فاذا كانت لويزا تذكر ادورد هذا الذكر على اثر مقابلة واحدة - تذكره تكررارا

بالاطراء والمدح وتذكرة آملة بمجيئه وتذكره غائباً أكثر مما تذكر الحاضرين - اذا كانت تذكره هكذا فالارجح انها تحبه . اما « لماذا تحبه » فلانه استوفى الصفات والمزايا التي تبتغيها في من تحب فكانه صيغ في قالب امانها فجاء طبق محبوبها المتخيل . اقول المتخيل لان لكل خال من الهوى حبيباً خيالياً يتخيل صورته في ضميره كما تلهمه نفسه . ولكن ما الفائدة من حب ادورد ؟ هل ترضى به بعلاً ؟ ذلك ما لم يؤمله ادورد ومع ذلك كان قانعاً بان يكون ذا صلة حب بها وكفى

اما لماذا ابى خاله عليه حضور هذه الحفلة فلم يعلم . حارفي هذا السر . وقد ازدادت حيرته لما علم ان اللايدي بنتن ليست كما صورها له خاله تمثل خيلاء ومثال عجرفة بل هي كسائر السيدات النبيلات الجليلات قدراً والكبيرات عمراً

ارتاب ادورد في نكسة خاله ورجح عنده انها حيلة مصطنعة يرمي بها المستر هوكر الى غرضين في وقت واحد : الاول ان يمتحن احساسات ابن اخته نحوه ليرى هل يرق فؤاده ويمتنع عن اي تمتع ليبقى ساهراً على سريره او يتركه في فراش المرض ويمضي غير مميء به . والثاني ان يعرقله عن الذهاب ليعلم ما اذا كان في قصر كنستون جاذب قوي جداً يجتذبه بالرغم من داعي نكسته التي تستبقه في البيت



الفصل السابع

« تفسير الجاهل »

في ضواحي لندن الشرقية حيٌّ متفرق المنازل ينتهي ببعض الجنائن والغياض التي تتخلل البيوت . وسكان تلك البيوت هم زُرَّاع تلك الجنائن يستغلون منها البقول والفاكهة . وفي احد اطراف ذلك الحي حانوت حقير يحتوي على اهم حاجيات المجاورين من اشربة روحية وما كل وامتعة منزلية ونحو ذلك . وفي الحانوت شيخ يناهز الستين وقد بيض الشيب شعر رأسه ولحيته ولم تزل فيه بقية من هممة الشبان يدعى المستر جاكوب داي وله ابن في الثامنة عشرة من العمر يدعى هنري داي وكلاهما يتناوبان الاقامة في الحانوت

وكان ذلك الفتى هنري يذهب في بعض الايام للصيد في الحقول المجاورة . وفي ذات يوم من ايام ذلك الصيف الذي جرت فيه حكايتنا هذه ذهب للصيد واوغل في تلك الحقول حتى بعداً جداً عن المنازل واصبح في القفر . وبينما يجول هناك اذ صادف من بعيد شبح انسان ملقى في سفوح رابية بين الصخور فاسرع اليه فرأى فتى صياداً مغمى عليه والدم يسيل من احدى ساقيه فانحنى فوقه واجلسه ليرى ان كان فيه رمق . فتنهد الصريع في الحال وأنّ وفتح عينيه وقال « بربك اغثني » فقال له هنري : « ماذا حدث لك وماذا اصابك ؟ » قال « كنت اتنقل فوق هذه الهضاب اتبع صياداً فلزت قدماي

وترحلت وتدهورت بين هذه الصخور من هذا العلاء الشاهق ولم اشعر
 إلا في حرك لا ادري ماذا تعطل من اعضائي «
 فقال له هنري : « سليم ان شاء الله . لا تخف »

وعند ذلك كان يفحص بدنه فوجد بعض رضوض في اعضائه
 وجرحاً بسيطاً في ساقه فسح الدم عنها وعصبتها وقال « هلم بنا آخذك الى
 حانوتنا وهناك نضمده جرحك ونرى لك مركبة تقاُك الى منزلك »
 فنهض وكان يمشي في اول الامر متثاقلاً وهنري يسنده الى ان نشطت
 قدماه وصار يمشي كالمعتاد بلا تناقل

وكان عصاري النهار لما ادركا الحانوت فاستقبليهما المسترداي بكل
 اهتمام ولما عرف حكاية الحادثة جعل في الحال يهتم بمرح الفتى فغسله بماء
 البوريك مما عنده وعاد فعصبه . وجلس الفتى ساكن الروع يشكر لهنري
 وابيه عنايتهما ثم قال :

- اني جائع جداً فاذا عندك يا عم لا آكل ؟
 - ما تشاء من الاسماك المقدّدة وبعض اللحوم المبرّدة
 - بل هات ما تشاء فاني استند كل طعام بعد هذا الجوع
 وعند ذلك رتب الشيخ مائدة صغيرة وجلس الفتى اليها يتلمظ الطعام
 وجلس الشيخ وابنه ازاءه يذاكرانه فقال الشيخ :

- متى خرجت للصيد يا بني ؟
 - في فجر هذا النهار لاني صحوت باكراً جداً فوجدت الطقس جميلاً
 فأثرت ان اقضي الصباح في البرية اتصيد . وقد اوغلت في القفر حتى صار

الظهر فقفلت راجعاً وحدث لي ما حدث

وكان الشيخ ينظر اليه ويتأمله كأنه يذكر تلك السحنة أو ألف بعض ملاحظها وشعر في قلبه بانعطافٍ اليه . وكان يظنه احد ابناء النبلاء أولاً لدلالة سيمائه عليه وثانياً لنضارة جسمه وحسن برّته

- أتفضل علينا يا بنيّ ان تعرفنا بشخصك الكريم ؟

- ادورد سميث

- سميث اسم لاسرات متعددة مختلفة فمن اي سميث حضرتك ؟

- أسرتنا خاملة الذكر فان المرحوم ابي من قرية بعيدة تدعى

« دون هل »

- اظنك تمزح يا بنيّ لاني ارى في محياك سيما الكبراء وعليك

مظاهر الاغنياء

- كلا لا امزح يا سيدي فان اسرة ابي خاملة الذكر ولكن اسرة

امي غنية وقد ربيت في بيت خالي وعشت في ظله

- اظنك ربيت يتيماً حتى تولى خالك تربيتك

- نعم يتيم الابوين لاني كنت رضيعاً يوم مات ابي . وامي ماتت على

اثر حمى النفاس على ما قيل لي

فتفرّس فيه الشيخ وهو فاتحٌ فاد كأنه يسمع بضمه وباذنيه معاً وقال له :

- ما اسم ابيك ؟

- جان سميث

- لاتؤاخذني على كثرة السؤال فان الانسان كلما شاخ كثرت سؤالاته

ولعلمها مفيدة في بعض الاحوال
 - سل ماتشاء يا عم فاني أسرُّ بعشرة الشيوخ وان كنت فتى حديث السن لاني استخلص من كل حديث فائدة

- من هو خالك ؟

- هو المستر جوزف هوكر . لعنا معارف يا عم داي

فانتفض الشيخ نفضة ضعيفة جداً واعتدل في مجلسه وقال :

- لا . وانما اسمع باسم خالك المستر هوكر . أليس هو صاحب معمل

القطن في شارع ب . ؟

- نعم هو

- هو مثر كبير؟

- نعم . أملك تعرف ابي ؟

- ربما . لا تذكر جيداً لاني برحت لندن منذ عشرين عاماً الى

ليشر بول ومنذ خمسة اعوام عدت الى هنا وفتحت هذا الحانوت

- ولكنني اراك تدقق في التسال كأن لك سابق معرفة بأبي او بخالي

فقال الشيخ متلجلجاً :

- كلا . وانما استغربت كيف ان اباك خامل الذكر وامك من اسرة

غنية ولهذا تطرقت بالسؤال

- ذلك ما لا ادريه وهو بالحقيقة يوجب الاستغراب

- ألا تعرف احداً من اقارب ابيك ؟

- كلاً ولا سمعت عن احد منهم

- عجيبٌ . أما خطر لك أن تستفهم عن نسب ابيك ؟
- ربيت في بيت خالي ولم يدعني داع للبحث عن اهل ابي
- ولكن اذا لم يدعك داع لذلك أفلا تسأل وتبحث من قبيل العلم بالشيء
- فجبل ادورد بعض الخجل من هذا التأنب اللطيف ورأى ان المستر داي محقُّ به فقال ربما اتهمز فرصة مناسبة لتحقيق ذلك ان شاء الله
- تفعل حسناً

وبعد ما انتهى ادورد من تناول الطعام دفع الثمن اضغافاً فردّه الشيخ داي الآ الثمن المعتاد فاخذه فعجب ادورد من ذلك لانه كان ينتظر ان يطالبه باجرة باهظة جزاء خدمتها له فقال لهما في هذا الشأن . فقالا : —
 انما فعلنا واجباً والواجب لا يستحقُّ اجرة . فقال : — بماذا اكاقتكما اذا ؟
 فانفرد به الشيخ قائلاً : ان كنت تشاء ان تتفضل عليّ بمعروف فانظر خدمة لابني هذا في منزلكم العامر لاني احب ان تتدمت اخلاقه في منازل الكبراء والآ فاذا بقي هنا وهو لا يرى الآ بعض الزرّاع شبّ شرس الخلق خشن الآداب وان كان قد تلقن مني المبادئ القويمة

- ارسله الينا في اول فرصة في شارع ب . نمرة ٢٦٥ وانا اكلم

خالي بامرّه

ثم شكر ادورد لهما فضلهما واتى عليهما شئاً طيباً وودّعهما وركب مركبة عابرة ومضى

وبالفعل ذهب الفتى هنري داي الى منزل المستر هوكر بعد اسبوع

وتعين رقيباً على المطبخ ونيط به شراء لوازم الطعام

الفصل الثامن

« هديت قلوبين »

اما ادورد فكث بضعة ايام في البيت يعالج جرحه ورضوضه
 وأليس تؤانسهُ وتلاطفه وتعنى به وتتودد وتتجيب اليه جهدها وادورد
 يعترف لها بحبه الاخوي ولا يزيد حتى ضاقت ذرعاً . وكان المستر هوكر
 متنجياً عن هذا الموضوع كأن لا علم له بما يجري بينهما من المحاورات
 ولكنه لم يألُ جهداً في ملاطفة ادورد والتجيب اليه . وكان ينصح له ان
 يترن على الشغل معه ليتولى ادارة اشغاله كلها بعد حين واما ادورد فكان
 يعير كل تلك الاحاديث الأذن الصماء لان قلبه مضطرم بحب لويزا ولبه
 منشغل بها

وما كاد يشفي حتى ورد اليه كتابٌ من صديقه الاورد روبرت بنتن

هذا نصه :

« عزيزي ادورد

« سنقضي يوم بعد الغد كله في « موتمار » ولكي نستوفي كل سرورنا

نلتمس ان تكون معنا فان لم يتعذر عليك ذلك هيا الينا الساعة الثامنة

صباح الغد الى قصر كنتون حيث نركب جميعاً ولي الامل ان نستغيض

من عشرتك ما فاتنا في الحفلة السابقة روبرت بنتن »

فظوى ادورد الرسالة وجعل يفكر هل يعرضها على خاله ويستأذنه

بتلبية الدعوة او يكتم امرها ويذهب في الموعد المعين من غير علمه وعلم

أليس . ذلك لأنه صمم ان يذهب على اي حال ولا يدع رادعاً يردعه البتة .
واخيراً رأى ان من الجبن ان يكتنم امر الدعوة ويذهب سرّاً وان خاله
مهما كان له من الفضل والسيادة عليه فلا حق له ان يستبدّ في تدريبه
ويتحكّم بامواله وعواطفه ولا سيما لأنه لا يأتي امراً فرياً في مصاحبة اسرة
شريفة كاسرة اللورد بنتن . وقرّر في باله انه اذا صادف تعنتاً من خاله جادله
غير هيّاب . وفي الحال نهض وذهب الى غرفة المستر هوكر وكان الوقت
صباحاً والمستر هوكر لم ينزل من البيت بعد فدفع اليه الرسالة وقال :

- خاله ! اقرأ هذه الرسالة ان كنت تشاء

فقرأها المستر هوكر وهو يخفي غيظه الذي كان يتقد في صدره ثم
ارجعها قائلاً : « وماذا ؟ »

- لا ارى بداً من تلبية الدعوة

فهزّ المستر هوكر كتفيه وادار وجهه الى حيث كان متجهاً اولاً فعاد
ادورد يقول له :

- ألا تستضوب ان ألي الدعوة ؟

- قلت لك رأيي في المرة السابقة فهل نسيت ؟

- كلاً لم أنس . ولكني لا ارى بداً من تلبية الدعوة لان الآداب

تقضي بذلك ولا سيما لاني لم ازر صديقي بعد تلك الحفلة كما تقضي
اصول المجاملة

- اذا لم ترَ بداً من ذلك فافعل ما تشاء

رأى ادورد انه اذا ختم الحديث هنا تلافى القال والقييل والمناقشة

والجدال فقال :

- اذا أبرح غداً باكراً الى شارع كنستون واعدود من « مونتمار » المساء

فسكت المستر هوكر . وخرج ادورد من عنده على هذا العزم

مونتمار مزرعة كبيرة للايدي بنتن قلما تبعد عن ضاحية لندن الشرقية

الشمالية وفيها حقول وبستان فسيح غضُّ وفي وسطه قصر صغير تقصده

اسرة بنتن في بعض ايام الصيف للنزهة

وما كانت الساعة العاشرة صباحاً حتى اصبح القصر مأهولاً باسرة

بنتن وبعض المدعوين من اقاربها واصحابها . ولو جئنا نصف ذلك النيروز

وما حصل فيه من الالاعيب والاضاحيك وجميع دواعي المسرات لانشغلنا

به عن حكايتنا ولذلك نضرب صفحاً عن وصف محاسنه ونقتصر على ذكر

المهمّ مما يخص روايتنا ونعني به ما كان بين لويزا وادورد

لا يحتمل المقام ان نصف للقارىء بالتدقيق والتفصيل كيف استقبلت

لويزا ادورد وتعاشرا في ذلك النهار وانما نلمع الى ذلك الماعاً ونورد نموذجاً

من محاوراتهما المختلفة لكي يعلم القاري اين صارا في تبادل هواهما بعد مقابلة

واحدة قصيرة

اقبل ادورد على لويزا في الصباح في قصر كنستون وفؤاده يتشنج في

صدره تارة ويثب اخرى وشعر ان قدميه مرتتان تحت يديه فلم يعدي عرف

كيف يمشي حتى دنا منها فرأى ملكة بلا تاج وملاكاً بلا جناحين وثغراً

يتدفق ابتساماً وخدين يتوردان توجداً . ولما وضعت كفها في كفه لتصافحه

كانت يداها كساكين اتصالاً جرى فيهما مجرى كهر بائي سريع انتفض

به قلباهما واختاجت عضلاتهما وكان بين لحظيهما حديث لم يلاحظه احدٌ من الحاضرين ولم يفهمه غير فؤاديهما

وكانا في الطريق وفي أكثر فترات النهار يتخاطبان في مواضع مختلفة وادورد لا تقوته لحظة تأمل بجمال لويزا وهي ينبوع تبسم لا ينضب . وكان اذا شغلت عنه هنيهة بغيره يعود الى نفسه ويقول : أحقيق ان مس لويزا بنتن ابنة اللورد بنتن وابنة اللايدي بنتن المتكبرة - هذه الفتاة التي استوجهت كل الانظار اليها في حفلة كبردج وطارت شهرة جمالها في كل اندية لندن وتعنى العدد العديد من الشبان النبلاء ان يحصلوا على يدها - أحقيق ان هذه الفتاة هي التي اراها الآن تبسم لي وتلاطفي كأنها دوني مقاماً ؟ نعم هي . ولكن ماذا غرتها بي ؟ لانسب ولاثروة . أجمال ؟ لا اراني اجمل من سواي . أعلم وأدب ؟ كثيرون من شبان اليوم يفوقونني علماً وادباً . ام ان الملاطفة والتودد خلقة فيها ؟ كلاً - كلاً . لاني لا اراها تتودد لغيري من المدعوين وتلاطفهم كما تلاطفي . اراها اليوم تكاد تشغل بي وحدي حتى صرت اخشى ان يلاحظ الامر ابواها ويتقد عليها الباقون

كاد الحب المتقد في صدر ادورد يستخفه الى المجون احياناً ولكن كان في لبه وفيرٌ من الرزاة والتعقل يُقعيده عن اقل خفةٍ وطيشٍ وفي عصارى النهار نزل القوم الى البستان يمشون بين الاشجار والزهور وكان ادورد ولويزا يتمشيان معاً فقطفت لويزا وردة وقالت :

- كيف انت وعلم النبات يا مستر سميث ؟

- يلذ لي ككل علم يا سيدتي

- اما انا فكانت يلذُّ لي تشريح النباتات وتعليل أنسجتها وتغذيتها
وعموها ونحو ذلك وكنت اتضجرُّ جداً من درس اصطفاها لانها كثيرة
التنوع الى صفوف ورتب وعيال عديدة لا تحصيها ذاكرة

- وانا كنت كذلك يا مس بنتن . ولكني كنت انظر الى كل علم من
احدى جهاته واضرب صفحاً عن الجهات الاخرى فكانت تلذ لي فلسفة
تسلسل النباتات واتمثل بها مبدأ الارتقاء
- اتذكر من اي عائلة الوردة

تناول ادورد وردة وجعل يفتلها بين اصبعيه ويتأملها ثم نظر الى
لويزا وتبسم وقال :

- ما الوردة الأحواء النبات اغوت النرجس بجمالها البديع ولما وبخها الله
احمرّت اوراق تويجها خجلاً ولم تزل حمراء واما النرجس فقاصه الله بالذبول
فضحكت لويزا متوردة الوجنتين وقالت :

- أفي النبات شعر ايضاً يا مسترسميث ؟

- في كل مادة من الطبيعة شعر يا سيدتي

- وكيف تشرح الوردة وتشرح وظائف اعضائها

- تظل الوردة ملفوفة التويج ضمن كنها الاخضر ما دامت طفلة .

فمتى بلغت دور الشبية انفتح كنها عنها فيظهر جمالها الفتان حتى تصبو
اليها النفوس فتكشف « بتلاتها » عن فؤادها فتظهر سبلات دقيقة نابتة
فوقه هي لهبات الحب . وما دام القلب غير ملتهب حياً يظل الجمال مخبوءاً
تحت غلاف الكم . واذا فتحت وردة لم تزل مختومة وجدت تويجها أبيض .

ذلك لان القلب لم تمسه جمره الحب بعد لكي يحمر التويج وينكشف
عن القلب

فابتسمت ولويزا ظلُّ الورد يظهر على وجنتيها تارة ويختفي اخرى .
وقد استسهلت ان تشرح فؤادها لادورد باصطلاحات تشريح الزهور
التي استنبطها فقالت

- اذا تعتقد ان الحب سبب الجمال لا الجمال سبب الحب

واذ ذاك أشبع خداهها جمره

- اعتقد بكلا الامرين

فقالت بصوتٍ مهتدج

- كيف ؟

- متى اضطررم القلب بالحب حمل سائر البدن على التجميل فيكون

الحب سبب الجمال هنا . ومتى رأى قلبٌ آخر ذلك الجمال اشتعل بالحب

كذلك القلب فيكون الجمال سبب الحب هنا . هكذا ترين الجمال والحب

يستقويان الواحد بالآخر كحلفين يتفقان على القلب

فسكتت لويزا بعد هذا الكلام لانه لم يبق لها مجال فيه اذ اصبح

جريها في مضمار هذا الحديث شططاً عن جادة الادب ولكنها كانت تود

أن تسمع المزيد من ادورد لتستعلن كل افكار قلبه فكانت تنظر اليه باسمه

ولسان حالها يقول « ثم ماذا ؟ » . اما ادورد فصار لسانه قلقاً في حلقه يتعثر

باللفظ والحجرة انتشرت في كل حياه ولكن الفرصة السانحة ورضاء لويزا عن

حديثه شجعاه على الاسترسال فيه فقال :

- مسكين هذا القلب يشتهي الحب وهو آفته . يستلذه وهو محتته .
يحوم حوله كالفراشة حول النور فيلتهمه
- كذا تعتقد ؟

- نعم لاني اعرف من نفسي يا سيدتي . أليس لي قلب ؟
فظلت لويزا ساكتة

- ولعلك تودين ان تسألي ما حال قاي ؟

فبقيت ساكتة لا « نعم » ولا « لا » ولكنها التفتت عنه وفي بدنها
قشعيرة خفيفة وفي قلبها خفوق
فاجاب على السؤال الذي افترضه

- هو شعلة وجد ان طالت حاله هذه تطاير شعاعاً

فقالت لويزا وقد غصت في ما تقول حتى لم يكدا ادورد يسمع :

- متى صار كذا ؟

- على اثر حفلة كبردج يا لويزا

ولم يستم ادورد هذه العبارة حتى رأى موجة اختلاج مرت في قامه
لويزا كأن صاعقة انقضت عليها واخرقت جسمها فالتفت عنه مسرعة
وانضمت الى غيره من المتمشين في ارض البستان . اما ادورد فشعر ان
روحه اصبحت في انفه وقلبه قد انقطع وسقط من بين جنبه وقال في نفسه
« خسرت الحياة . ويلاه » وبقي بين الزهور يوهم انه متلاه بها ولكنه لم
يعد ليبي ما حوله ولا يبصر ما امامه اذ اسودت الدنيا في عينيه . وجعل
يؤنب نفسه ويلوم ذاته كأنه اتى انكر المنكرات . ولو كان في يده آلة

للإهلاك لا تتحر في الحال . وبعد هنيهة رأى اللورد روبرت مقبلاً عليه فخطر له ان لويزا اخبرت اخاها بما قاله لها انه قادم اليه لكي يوبخه على ما كان منه معها فصمم ادورد ان يخنق نفسه لاول كلمة يسمعها من صديقه روبرت بهذا الشأن ولكن روبرت ابتدره من بعيد قائلاً :

- لا تؤاخذني يا حبيبي ادورد على قلة انتباهي اليك وانشغالي بغيرك من الاصحاب فانما اغضيت عنك لانك صديق بل اخ لا تعتب كسواك ولاني رأيت لويزا تماشيك . اين هي ؟

فكان قلب ادورد ينتفض عند كل كلمة يقولها روبرت متوقفاً ان يكون هذا الكلام مقدمة تهكم يليها التوبيخ ولكن هداً روعه قليلاً عند سؤال روبرت « اين هي » فقال :

- اني لفي غاية الامتنان لك يا عزيزي روبرت ولحضرة الشقيقة الفاضلة مس بنتن فاني رأيت من لطفكم وكرم اخلاقكم اكثر مما رأى الباقون كلهم . بل اشكر لك ثقتك التامة بصدق محبتي التي لا يمكن معها ان ارى منك تقصيراً باكرامي بل تدعني اشعر اني في بيتي

ثم تقدما وامتزجا مع الآخرين ولكن لويزا كانت بعيدة . وظل ادورد مضطرب الفؤاد ينتظر عاقبة سيئة لحديثه الاخير مع لويزا وقد صور الوهم له ذلك جرماً عظيماً جداً وقطع كل امل من رضاها وصار يتمنى ان ينتهي النهار لكي ينصرف من « موتمار » لانه كان يرى ذلك البستان قد اصبح جهنماً من غضب لويزا .

وبعد العصارى اجتمع القوم في رحبة من رحبات البستان لتناول الشاي

وكان ادورد يخاف ان ينظر الى لويزا فلم يجبل نظره ليعلم من اي جهة تأتي
 فما درى الا وهي وراءه تقول لاحدى رفيقاتها « تقعد هنا » ثم قعدتا الى
 جانبه فرمقها فراها تبسم وتبش كأنه لم يكن شي مما كان او كأن سحابة
 خجل لا غضب مرت على محياها وانقشمت بذلك النفور القصير . فهدأ روعه
 تماماً وعاد امله اقوى وامتن . ثم عاد الى محادثتها بمواضيع مختلفة باكثر طلاقة
 من السابق كأنهما صديقان تعارفا منذ الحداثة . ولم يبق عند ادورد شك
 بان لويزا تحبه كما يحبها

وقد اختلس فرصة موافقة في خلال حديثه معها وسألها :

- هل يتنى لي ان اراك كثيراً؟
- في الاوبرا مساء الغد وهناك اقول لك اين تراني بعد ذلك
- هل لي ان تذكرى الاماكن التي يمكن ان اراك فيها تكراراً حتى
 اذا لم اكن على ميعاد اهتديت اليك بالالهام او بالبحث؟
- في « هيد بارك » في طريق ن . وفي سباق دربي غالباً
- انقضى النهار وانصرف ذلك الجمهور حتى اذا دخلوا ضواحي المدينة
 تفرقوا كل الى منزله

اما ادورد فذهب الى مرقد محفوفاً بسعادة روحانية لم يكن يتصور
 من قبل انها توجد في العالم المادي . لويزا بنتن التي تهافت اليها الوف من
 القلوب تكاد تهبه قلبها او انها وهبته . تفاهها بلغة الهوى تماماً ولم يبق امامهما
 الا ان يجتما الحب بلثمة مشتركة بين شفاههما . ثم ماذا بعد ذلك ؟ أيقدر ان
 يقول لها يوماً ما « زوجتي » ؟ خطر له هذا السؤال ولكن كما ينخطر المستحيل

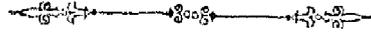
على فكر اليأس العاقل . ذلك لانه كان يقال ان اللايدي بنتن لاتروج
ابنتها الا لورداً محافظة على عادة النبلاء السلفاء ولذلك كان يقول ادورد
في نفسه « احبها وتحبني وحسبي » . اما ماذا بعد ذلك فلا يدري . واني ان
ينظر الى ما بعد ثلا يكون في نظره هذا ما يحزنه

وكان كل يوم بعد آخر يلتقي بها في الاوبرا أو في السباق أو في
« هيد بارك » او انه يلاقها على ظهر جواده اذ تكون مع اخيها على
جواديهما في طريق « مونتمار » وكان روبرت يدعوها الى كل حفلة تعقد
في قصر كنستون حافلة كانت او مقتصرة على الاخصاء . وكان اللورد
واللايدي بنتن يستأذنان عشرة ادورد وحديثه جداً ويعجبان بعلومه وادبه
ويثنيان على سماحة خلقه ولهذا كان يسرها جداً انه عشير ابنها روبرت
وعليه كان يختلف كثيراً الى القصر ويشعر انه في بيت اخيه او قريبه

اذا اجتمع الحب والذكاء في شخص واحد كان ذلك الشخص خلاصة
الانسانية نقية من كل شائبة مجردة عن كل كسافة بحيث تظهر صافية . فلا
عجب ان يظهر ادورد في قصر كنستن مثال الجمال العقلي ويسطو على كبرياء
اللايدي بنتن بحيث لا تجسر ان تخشى على قلب ابنتها منه . كان ادورد
عشير لوزا بل عشيقها وهي عشيقته من غير ان تتنبه الظنون لهما . تلك
هي فائدة قيادة الحب بيد الذكاء

تسنى لادورد ان يرى لوزا ايان شاء تقريباً وقد اجتمع بها اضعاف
ما كان يتمناه ويمده مستحيلاً . وقد شرحا سفر هواهما وعلقا على هوا مشه
الحواشي ولم يبق ذلك السفر الطويل ناقصاً الا الخاتمة . ولكن كانت تلك

الخاتمة تتراءى لكلٍّ منهما اعزّ من تناول الطفل القمر



الفصل التاسع

« وعمر . مجهول »

ذلك كان شأن ادورد في هوى لويزا . واما شأنه مع خاله ولا سيما مع أليس فكان على الضد . كانت أليس تلاطفه الى حد التذلل وتتوسّل اليه لاجل كل امر وتستمطف فؤاده بأساليب لطيفة في خلال احاديثها معه . ولكنّ تلك التوسّلات والاستعطافات كانت تنزل على قلبه كالكحل (السبيرتو) الحاد فتصلّب عضلاته وأوتاره ومصاريحه خلافاً لابتسامات لويزا فانها كانت تنزل في فؤاده كأكسير الحياة

على ان أليس علمت مع الايام ان ادورد مشغول بحب مس بنتن لتعدد زيارته لقصر كنستين واجتماعه المتوالي باللورد روبرت صديقه فكانت تتقد غيرة ولكنها كظمت غيرتها وتجادت وواظبت على محاسنته آملّة ان سعيه الى مصاهرة آل بنتن يخفق فاذا ظلت تحاسنه لا يستصعب العودة اليها بعد الفشل من لويزا

اما المستر هوكر خاله فلم يدّخر جهداً في ملاطفته والبذل له وتقديم كل ما يلاحظ انه يتبغيه فاقتنى له جواداً ومركبة وكان يوصي كل الخدم ان يلبوا اي امر له وهكذا لم تنقصه حاجة

مع كل ذلك كان ادورد في غالب الاوقات كاسف البال في بيت خاله قليل الضحك والمزاح على غير عادته واذا بشّ ظهر التكلف في بشاشته

لا يسره شيء هناك مهما وفرت دواعي السرور له . نعم لا يسره اذا لم تكن
لويزا امامه بحيث يجثو فؤاده امام عرش جمالها وتسكب من روحها ماء
الحياة في قلبه

لم تغب على خاله حقيقة حاله فتأكد ان عين لويزا بنتن سحرت
لبه وان التعاويذ لم تعد تجدي شيئاً في ذلك السحر

افتكر المستر هوكر طويلاً في كيف يرقى قلب ادورد ليرفع عنه تأثير
السحر وجرب كل الرقى المألوفة فرقاه تارة بجمال أليس وطوراً بتدليلها
وحيثما بتودد لها وآخر بتدليلها وأنا بالجاه وأنا بالثروة فلم تنجح فيه رقية
من كل هذه الرقى فقال في نفسه : « اذا بقيت رقية واحدة ادخرتها
الى هذا الحين فان لم تجع فقد خابت كل آمالي وحبطت مساعي في عشرين
عاماً وازيد »

وفي ذات صباح استدعى المستر هوكر ابن اخته اليه وهو في غرفته
جالس الى مكتبه فجاء ادورد وقعد على كرسي مقابله ينتظر ما يكون من امره
- عزيزي ادورد ماذا تعتبر نفسك في هذا البيت ؟

فنظر ادورد الى خاله مندهشاً مستهجنأ

- اعتبر نفسي في بيتي . كذا صحوت من طفوليتي وكذا بقيت حتى
هذه الساعة

- وكذا تبقي الى الابد اذ ليس لي ابن سواك كما ان لا بنت لي سوى

أليس . وماذا تعتبرني بالنسبة اليك ؟

- عجب يا سيدي اذا كنت تعدني ابنك فماذا اعدك غير ابي .

- هل لاحظت ولو مرة واحدة اني افضل أليس عليك بشيء ؟
- كلاًّ البتة ولو لم تقل لي انك خالي لما عرفتك الا ابي الحقيقي
- هل ضننتُ عليك بشيء في العشرين سنة التي رببتك وعلمتك فيها كما يتعلم ابناء الشرفاء ؟
- كلاًّ . وهل يضمن الابُ على ابنه ؟
- اتفتقد اني احبك حب الاب لابنه لا حب الخال لابن اخته ؟
- لا شك عندي بذلك
- اتظن اني اضحي شيئاً من سعادتك لاجل سعادة أليس ؟
- ما الذي يدعوك الى هذا التسأل يا سيدي . لاحظت مني شكاً بمواطفتك نحوي ؟
- كلاًّ وانما آخذ اقوالك هذه مقدمات اني عليها حديثي الآتي .
- فلا تجبني الا الصدق بكل حرية ضمير والّا فسدت النتيجة التي نسعى اليها . فان كنت لا تشعر بانك في بيتي بمنزلة ابنتي تماماً وان مصاحبتك عندي تساوي مصاحبتها واني لا اضحي شيئاً من سعادتك لاجلها ولا اغفل مصاحبتك لاجل مصاحبتها فقل
- كلاًّ بل اني اشعر اني ابنك كما ان أليس ابنتك ولا اعرف نفسي غير ذلك
- وعند ذلك كان ادورد يقول في نفسه: «ألا يمكن انه يقف في سبيل سعادتي لاجل سعادة ابنته ؟ »
- اذاً أعزني سمعك وتذبرّ ما اقول . ارى يا عزيزي ادورد انك

في ثورة غرام

فتدفعت عضلات ادورد تحت فعل اختلاج عنيف تدفع الامواج
تحت فعل الرياح واكد وجهه حتى لاحظ المستر هوكر اضطراب بدنه
وظلماء محياه فاشفق على عواطفه واستدرك قائلاً :

- نعم اراك في ثورة غرام ولكنني اعذرك لا اعذلك لان الغرام جعل
لمن هو مثلك وهو سنة الله في القلوب البشرية . واذا اقتيد الغرام بمقود
التعقل كان سعادة حقيقية لدويه

فاستبشر ادورد قليلاً عند هذا الكلام ولكنه بقي يوجس شيئاً من
خاتمة العظة

- أتعلم يا ادورد ان الغرام سبيل الى الزواج فان لم ينته به كان ويلاً
على صاحبه ؟

- الحق اقول لك اني لا اعلم ذلك وانما علمت ان الحب ثمرة القلب
البشري ومتى نضج القلب اثمر هذه الثمرة لا محالة

- نعم الحب حتم على القلب ولا قلب بلا حب حتى قلب الطفل .
ولكنك لم تصب في تشبيهه الحب مع القلب . انت تتكلم نظرياً وانا اتكلم

اختبارياً . الحب داء في القلب ولا علاج لهذا الداء الا الزواج
- لا اراني مقتنعاً بصحة هذه القضية يا سيدي بل اشعر ان الحب

هو هو ولا يشفي الحب منه زواج ولا غيره
- قد يصعب عليك ان تسلم بهذه القضية ولكنني اقولها لك كقضية

مسلمة عند الجمهور بحكم الاختبار . وانت معذور الآن لانك لا تزال خيالياً

في الحب ، ولكن هذه الثورة الغرامية التي انت فيها وتظنها دائمة تُحمد على اثر الزواج حالاً

- هل ذلك كذلك؟

قال ادورد هذه الحكمة واصغى الى خاله لعله ينتهي بنتيجة ترضيه
- اذا كنت قد آمنت بهذه القضية - واقول آمنت لانك لا تسلم بلا برهان حسي والبرهان الحسي هو ان تزوج وعند ذلك تسلم فعلاً - اذا كنت قد آمنت فهالك قضية اخرى : « لا تكون المحبوبة والمخطوبة واحدة دائماً »
ففتح ادورد فاه مستهجنًا هذا القول

- يا لله : لم اسمع باغرب من هذه القضية

- لا تستغرب . تحب فتيات كثيرات ولكنك لا تزوجهن كلهن
- أحقيق ان الانسان يجب غير واحدة؟

يظهر ان ادورد الشاعر الدارس جاهل في الحب فكان يظن ان المرء لا يجب في حياته إلا شخصاً واحداً . ولا بدع ان يظن كذلك وهو في اول حب لان كل مبتدىء في الحب يظن حبيبه الحبيب الاول والآخر . على ان خاله برهن له فساد هذا الوهم اذ قال :

- نعم يجب كثيرات مع الايام على انه لا يجب غير واحدة في الوقت الواحد . وكثيرون من الشبان يتزوجون غير الفتيات اللواتي احبوهن

- تعني الخونة في الحب؟

- كلاً بل الصادقين الامناء أيضاً

- كيف ذلك؟

- ذلك ان التي تحبها إما انها لا توافقك زوجةً او انها تخونك فتغفلها
 او انها لا تمنح لك لسبب اجتماعي كأن تكون اشرف او اغنى منك أو ان
 تكون اوضع فتستنكف ان تأخذها زوجةً او نحو ذلك . واذ تصمم على
 الزواج تبحث عن فتاة اخرى تلائم حالك وترضي عقلك قبل ان ترضي
 قلبك . وتوافق مصلحتك لا هواك

- كل هذا يتمدر على فهمه يا سيدي وجل ما اعقله من فلسفة الحب
 اني اذا احببت احب واحدة فقط كل حياتي وانا كد أنها تحبني واذ ذاك لا
 اسلم انها تخونني او تتغير عليّ . وسواء كنت ارفع منها مقاماً او ادنى فلا
 انا ولا هي نستنكف ان نكون زوجين . وان قامت في سبيل زواجنا موانع
 بقينا حبيبين امينين الى الابد بلا زواج . هذا ما اعقله واشعر به ولا اقدر
 ان اتحوّل عن الاعتقاد به

فسكت المستر هوكر برهةً وهو يتأمل كيف يقنع ادورد بفساد
 اعتقاده وبعد هنيهة رفع رأسه ونظر اليه قائلاً :

- اتظن اني اغشك او اكذب عليك يا ادورد او اني اقصد اغراءك ؟
 لا -

- اتظني غرّاً قليل الاختبار ! ترى اني مكابر في مناقشاتي
 - كلاً البتة

- فانا اكلمك عن اختبار تام واقول لك حقيقة راهنة يعتقد بها كل
 الجمهور ولسوف تعلمها بنفسك وهي ان الزوجة قد تكون غير الحبيبة . ومتى
 صارت زوجةً صارت هي الحبيبة الوحيدة اذا كان الزوج ذا مبادئ قوية

- عجيب . كيف يحب المرء من يشاء ؟ هل الحب تحت امر الإرادة ؟
 - منشأ الحب حب النفس فحيث يكون للنفس مصلحة يتجه القلب
 بقوة الحب . وفي الزوجة الفاضلة المستوفية كل صفات الزوجية اعظم
 مصلحة للنفس . فاذا حكمت عقلك فقال لك ان هذه الفتاة افضل
 لك كزوجة من تلك انصرف حبك عن تلك الى هذه . واما اذا استسلمت
 لهواك عميت عن مصلحة نفسك طبعاً

وكان سكوتٌ نحو دقيقتين وكل منهما يتأمل - المستر هوكر يتأمل
 في ماذا يكون تأثير كلامه على ادورد ايرعوي وينقاد ام انه يصرُّ على هواه .
 وادورد يتأمل في ماذا تكون خاتمة هذه العظة وفي كيف يكفُّ خاله عن
 نصحه . ثم استعاد المستر هوكر الحديث قائلاً :

- اظن ان قلبك في قصر كنستون يا ادورد ؟

- نعم هنالك مودع يا سيدي

فعبرت لهذا الجواب رجّة تغيُّظ في صدر المستر هوكر ولكنه اخفاها

عن ادورد وقال :

- ونعم المستودع . لا تظن انه يسئني ان تودعه مس بنتن يا ادورد

فقد برهنت بايداعه هناك على كبر نفسك وانك نشأة علاء ومجد وما

ذهبت عنايتي فيك سدى . ولكن اتعلم ان حبك لابنة اللورد بنتن او

بالاخرى اللايدي بنتن عقيم ويستحيل ان يثمر وأن خاتمة الهوان لك ؟

- اما انه عقيم فاعلم واما ان عاقبته الهوان فلا اظن

- بماذا تظن هذا الحب ينتهي ؟

- لا ادري

- انا ادري . اذا لم ينته بزواج فلا بد ان ينتهي بخذلان وبما انه لا ينتظر أن اللايدي بتن تنزل عن كبريائها وترضى ان تزوج ابنتها لغير لورد مهما كان غنياً فلا بد ان تشعر يوماً من الايام بصلة الهوى التي بينك وبين ابنتها فتخذلك بل تخزيك بل تطردك من منزلها طرداً عند ذلك ابتداء ادورد يشعر باشمئزاز من خاله ويحس بمثل الكره له . واستتم هذا كلامه قائلاً :

- وإلّا فإذا تظن نهاية حيكما تكون ؟

- لا اظنه ينتهي في هذا العالم ولا في الآتي

فضحك المستر هوكر وهز رأسه قائلاً :

- وهل تقنع بهذا الحب العقيم ؟

- قانع ومسرور

- اتظنك تثبت عليه الى نهاية الحياة ؟

- من غير شك

فضحك المستر هوكر جداً وقال :

- اعذرني يا بني فان علم المدارس غير علم الزمان . أصغ الي يا ادورد

فاني احبك جداً . احبك حباً ابويّاً . إعص هواك في هذه الساعة وعدالى

عقلك وحده فتجد اني ابتغي لك السعادة الدائمة

واما ادورد فكان يستقبل هذا الكلام كما يستقبل الصخر الصلد

نقط المطر . تقع عليه وتترحلق عنه . واما خاله فاسترسل في كلامه :

- دعني أملك بحرية ضميري ما دمت مقتنماً أنك وأليس متساويان
عندي في كل اعتبار . اعلم اني رببتك انت وابنتي معاً واعتنيت بكما عناية
واحدة وجمعت ثروة كبيرة على قصد ان تتمتعاً بها معاً وهيات لكما مجداً لم
تحلما به ولا خطر على بال احدٍ من الناس . اما المال فلا بنتي بحكم الشريعة
لانها هي الوارثة الوحيدة لي ولكني اقسمه بينكما مناصفة على اي حال .
واما المجد - انبه لهذا المجد - الذي اعدته لكما فهو لكما معاً متحدين
وهو عدم اذا كنتما منفصلين

ثم جذب المستر هوكر « دُرُج » المكتب اليه وتناول منه « هقيبة زرقاء »
صغيرة وقال :

- لا تظن هذا المجد الذي املك عنه شيئاً موهوماً البتة بل هوشي
حقيقيً محبوباً لكما في هذه الحقيبة

فنظر ادورد الى الحقيبة وهي في يد خاله بعين الاستغراب وقال في
نفسه « مهما احتوت هذه الحقيبة فلا تغرني » ولم ينبس ببنت شفة ولا
اهتم ان يعلم ما فيها لانه يضحى كل شيء في سبيل حبه اللويزا . فلو كان في
تلك الحقيبة تاج الاسكندر لرفسها برجله وقال « حب لويزا المجد » . ولهذا
ما اكثر بها . ثم استمر خاله في حديثه :

- ولعلك تود ان تعلم ما في هذه الحقيبة فلا تطمع بذلك الآن لأن
مفتاح سرها قرانكما لا سواه

قال المستر هوكر هذا الكلام وقد تجرد من لهجة الانعطاف فاجابه

ادورد على الفور

- دعها اذاً مقفلةً

فنظر المستر هوكر الى ادورد بعين الاستغراب وفي نظرتِه ظلٌّ من

السخط ضعيف جداً

- لا تزدرِها يا ادورد فان المجد المنجوء لك ولأليس فيها لا يقل قط

عن مجد اللايدي بنتن

فقال ادورد في نفسه . « ومهما يكن هذا المجد فما هو الأقتام لدى

سنى لويزا » وبقي صامتاً

وبعد سكوت هنيهة قال المستر هوكر :

- انت مخير الآن بين امرين يا ادورد إما هوانٌ دائمٌ بحب ابنة

اللورد بنتن بل خذلان قريب على ما اظن او مجد سنى جداً بزواجك

من أليس

- أو وثر الهوان

فنظر فيه المستر هوكر شزراً وكاد ينتهره ولكنه امتلك خلقه

- لا تظنني اعرض ابنتي عليك لاني لا اجد لها كفوّاً وانما اعرض

عليك مجدّاً لا يكون الا بقرانك بها

فكاد ادورد يسأله « ما هذا المجد » ولكنه لم يكن يرضى بشيء

حتى ولا بالملكوت الارضي بدل حب أليس . فالجم لسانه عن هذا السؤال

لكي يقصر الحديث وينتهي من هذه العظة العقيمة

- اعلم جيداً ياسيدي ان أليس تجد كثيرين اكفاً مني لها يتمنون يدها

- أتطمع بزوجة افضل منها؟

- كلا ولا بمثلها
- اذا لماذا لا تقبلها زوجتك وتقبل معها مجداً عظيماً ؟
- هذا فوق طوقى يا سيدي
- أليس تحبك جداً يا ادورد
- وانا احبها ولكن كاختي . كذا ريدينا ممماً
- وبعد سكوت قصير قال المستر هوكر:
- ألا تتأمل المسألة جيداً فمسالك ترعوي وتؤثر نصحي ؟
- تأملتها كثيراً قبل الآن وكنت كلما تأملت اصل الى نتيجة واحدة وهي ان أليس اختي لا اقدر ان اكون زوجها
- بل تأمل في الايام المقبلة فتجد اني اقصد سعادتك يا ادورد اذكر هذه الحقيقة الزرقاء واعتقد اني صادق بقولي فلا اغريك ولا اخدعك
- لا اشك بصدق قولك ولكني لا آمل ان اجبل فؤادي جبلة ثانية
- اذا تصرُّ على هواك ؟
- فتهنأ ادورد وكاد الدمع يطفر من مقلتيه
- نعم لان ما تبغيه فوق قدرتي فاعذرنى
- اذا ضاعت كل آمالي فيك بل ذهبت كل عنايتى سدى . ولو لم يكن في ما بذلته عليك نفع لك لندمت على ما فعات لك على انى لا ازال آمل ان تشوب الى رشذك متى خذلك
- ثم نهض المستر هوكر وهو لا يملك غضبه وقد طلعت على جبهته غمامة من السخط قائمة ثم ذهب الى معمله وترك ادورد والحزن يقطع في

فؤاده وهو يأكل اصابعه لوقوعه في ازمة شديدة وصار يفكر في مخرج
منها فلم يجد واصبح منذ ذلك الحين يوجس خيفة من خاله
وكان كل هنيهة ينظر الى الساعة لانه كان ينتظر العصر للقاءه بلويزا
على ظهر جوادها مع اخيها في الطريق الى موتمار

الفصل التاسع

« عهر بهويد »

في الساعة الرابعة بعد الظهر كان ادورد في الطريق الى موتمار يلوي عنان
جواده فيسير به طرداً وعكساً وهو يتربقب قدوم صديقه روبرت بتن
وشقيقته . وما اقبلا عليه حتى نفذ كل صبره وكاد يهيم في البرية . ولما اوغلا
بين الحقول ترحلوا برهة وتقدم روبرت لكي يقطف بعض الزهور فاغتم
ادورد تلك الفرصة وأسر الى ولويزا الحديث الآتي :

- أتحبيني يا لويزا ؟

وكان القلق مقروءاً في عيني ادورد فامتقع لون لويزا ولم تتمالك ان
تبتسم وتجيب مندهشة

- من يسأل هذا السؤال يا ادورد ؟

- اعذريني . لي معك حديث صغير مهم والفرصة قصيرة

- ماذا ؟

- ما غاية حبنا يا لويزا ؟

- لا ادري . بالحق لا ادري

- وانا لم اكن لادري . ولكن قيل لي ان الهوى اذا لم ينته بالزواج انتهى بالهوان - فاقشعرّ بدن لويزا وانمقد لسانها
- اترضين بي زوجاً أميناً يا لويزا ؟
- فقالت بصوت خافت :
- آه ! لو يمكن ؟
- اذا رضيتِ فلا شيءٍ يستحيل
- لا يستحيل يا ادورد ولكن
- ماذا ؟
- اترضى ذلكَ بعار
- معاذ الله ! اين العار فيه ؟
- لا اكون زوجتك الا اذا انكر آل بنتن لويزا او اذا زعموا انها ماتت
- الا تنصحين لي ان اطاب يدك من ابويك لعل القدر يكتم لنا املاً
- لم تكن ننتظره
- كلاً . انا اعلم انه اسهل على امي ان تقول ان ابنتها ماتت من ان يقال انها زوجة رئيس الجمهورية الاميركية او زوجة كارنجي اوركفلر اذا لم يكن لورداً
- وأبوك ؟
- أمي فقط أمي
- الا يقدر ابوك واخوك ان يقنعاها اذا أصرتِ أنتِ ؟
- الله وحده يقدر
- اذا ما العمل ؟

لا ادري

اما خطر لك هذا الامر؟

كل يوم

فماذا ارتأيت؟

لم اجد حلاً لهذه العقدة

وماذا نفعل؟

لا نفعل شيئاً

أنبقى كما نحن؟

أما انا فأبقى الى الابد

أترضين حقيقةً بالحالة الحاضرة يا لويزا اي أن نبقى حبيبين امينين

كل الحياة؟

ماذا استطيع غير ذلك؟

حسبي ذلك يا لويزا اذا كان يرضيك

ذلك أفضل من عدمه

ماذا تفعلين اذا طلب يدك لورد؟

اذا كان لأمي ان تمنع يدي عن غير لورد فليس لها ان تهبها بالرغم

مني للملك

كيف اقدر أن اكون لك كما يجب ان اكون؟

كن كما أنت

أأستحق ان اكون محبك كما أنا؟

- اذا كنت اغبط نفسي على كونك حبيبي حتى ولو كنت ملكة فهي
- نعمة ان تكون محبي وأنا لويزا بنتن
- أنت مغبونة يا لويزا ...
- صه . أتقسم أن تثبت في محبتي ؟
- بل في عبادتك
- اذا لا تمد أياماً ولا تعتبر ان في الوجود زماناً يجيء ويعضي بل
- اعتقد ان الابدية ابتدأت منذ حفلة كبرديج . ولويزا التي تلاقيها في عالم
- الارواح هي نفس لويزا لقيتها في جامعة كبرديج
- فتح ادورد فاه ليتكلم فلم يتكلم . نظر في عيني لويزا ونظرت في
- عينيه فكانت نظراتهما حديث طويل يملأ اسفاراً . من يقدر ان يعبر عما
- تكلمته عيونهما ؟ ومن يشك ان الروحين قد اطلتا من نوافذ العيون في
- ذلك الموقف ؟ ومن لا يعتقد ان معاني الارواح اسمى جداً من معاني
- العقول ؟ تلك هي المرة الوحيدة التي جرى فيها حديث اهل السماء على
- الارض من عهد ابينا آدم الى اليوم .

عن غير روية تناول ادورد يد لويزا وهي وضعتها في كفه فرفعها الى شفتيه فشعرت لويزا كأن نسمة روح قد نسمت عليها وجرت في كل بدنها . وشعر ادورد ان نفخة سموية ملأت رئتيه . لم يذكر ادورد ولا لويزا ان عضلات ساعديهما تحركت عند هذا العمل فماذا حركهما اذا ؟

الفصل العاشر

« اصل النفس الكبيرة »

لم يتم ادوردي في تلك الليلة . وكيف ينام وعلى صدره همّان ؟ المهم
الاول الخصاص الذي نشأ بينه وبين خاله . والمهم الثاني تقصيره عن ادراك
المقام الذي يستحق فيه يد لوزا
شعر منذ ذلك الحين أنه في بيت خاله وان خاله غير ابيه . ورأى ان
ثروة خاله لأليس فلا يمد يداً لاقل نصيب منها البتة وان كان خاله قد
وعد ان يمنحه نصفها . بل شعر انه اصبح ضيفاً عند خاله ما دام يرفض
نصحه ويخيب آماله . بل صار يرى نفسه ثقيلاً هناك . بل صار يرى ان
فضل خاله عليه اقل من رضوى على صدره . فصارت نفسه تحدّثه ان
ينفصل عنه ويعيش لنفسه . ماذا يشتغل ؟ ليس في يده مال ولا تعلم
صناعة . لم يخطر على باله من قبل ان يعمل عملاً سوى ان يحل محل خاله
في ادارة معمله ومراقبة املاكه تدريجاً . فهل يفعل ذلك ؟ أجاب نفسه :
« لا . ان كنت اؤثر الانفصال عن خالي فيجب ان أستقلّ بكل شيء
وبالاحرى في العمل . ان جئتُ اشتغل في معمله بقيت في منزله وتحت
فضله »

ردّد في فكره مواهبه ومعارفه ليعلم ماهية اهليته فلم يجد الا الشعر
من المواهب والقلم من المهن . فخطر له ان يشتغل في الصحافة . في تلك
الليلة كان هذا الفكر حبة خردل وفي تلك الليلة نفسها اصبح شجرة . رأى

ان مجال الصحافة رحيباً امامه فقدّر لنفسه ارتقاءً سريعاً فيها ثم طمع بعد ذلك الارتقاء أن ينتقل من الصحافة الى السياسة وقدّر لنفسه ارتقاءً باهراً في هذه ايضاً ثم طمع ان يتربع في دست الوزارة وينال لقب لورد ويستمنح يد لويزا . تهجد ادورد عند هذه النتيجة وقال حتى كاد يُسمع من خارج غرفته : « آه لو كان لي تاج انكثرا لوضعته بين يدي اللايدي بنتن لتقدم لي فيه لويزا »

عند ذلك انتبه انه يبني قصوراً في الهواء فقال في نفسه دعني من الاماني الموهومة فلا أفكر بالآمال المفعولة . ماذا يضر أن أطلب يد لويزا من والديها ! فقد لا يستحيل أن ترضى اللايدي بنتن اذا رأت ان لويزا لا ترضى سواي بعلاً . وروبرت صديقي يرضى من غير بد واللورد بنتن يرضى على الارجح لاني فهمت من فحوى احاديثه العديدة ان قيمة الرجل عنده بجوهره الشخصي لا بأحواله الخارجية . ولاحظت انه يودني جداً ويضعني في مكانة سامية بل اللايدي بنتن نفسها تعتبرني كذلك . الايتمثل ان جبن لويزا وضعف قلبها وخوفها وحياءها كل هذه الامور توهمها ان الامر مستحيل ؟ او لا يمكن ان هيبه أمها الجليلة توهمها ذلك ؟ كم من كبراء العامة الذين صاهروا الشرفاء في هذا العصر

ثم عاد فافكر في نفسه ان ذلك لا يكون بلا رضى خاله ووراثه نصف ماله فتنهد وفكر طويلاً وقال . « لا بأس . خالي هو ابي الحقيقي وهو حنون عليّ جداً ويحبني فاذا نلت يد لويزا يسرُّ بلا مشاحة كما لو طلب لورد يد أليس ابنته » . وعند ذلك خطر له انه اذا صار صهر آل بنتن فلا يستحيل

عليه ان يجد خاطباً لورداً لآليس فسُرَّ لحل العقدة الوهمي على هذا الاسلوب وكثيراً ما يصوّر الغرور الاوهام حقائق . وظل هذا الرأي ينمو في ضميره والآمال تقويّه حتى الصباح فصمم ان يكتب للايدي واللورد بنتن بهذا الشأن

جلس ادورد الى مكتبه وجعل يكتب ثم يشطب حتى اذا امتلأت الصحيفة كلاماً مشطوباً جمعها في كفه وعصرها ورمها في سلة الاوراق المنفية . وعلى هذا النحو رمى نحو ثمانى صحائف ولما يتوفّق الى صيغة طلب موافقة . خانه القلم اذ ذاك واغفاته الهمة الشعر وغاب من ذهنه منطقته بل ضاع كل عامه فلم يعرف ماذا يكتب . اخيراً قال « المقام ليس مقام فلسفة يكفي ان اوضح مطلبي بأبسط عبارة » فكتب هكذا :

سيديّ اللايدي واللورد بنتن الافخمين

درستمونى في كل مدة تعارفنا وعرفتم حقيقتي جيداً وقد ظهر من مجاملتكم لي ورضائكم عن دالتي عليكم اني نلت استحسانكم وذلك جرأني على أن اسألكم أيمكنني ان أرجو منكم يد مس لوزنا ابنتكم ؟ . أتشرف بأن اخبركم ان ثروة خالي المستر جوزف هوكر الذي كان ولن يزال اباً لي تبلغ نحو مليون جنيه وقد خصّص لي نصفها والنصف الآخر لابنته الوحيدة واقبلوا فائق احترامي

ادورد سميث

ثم طوى الرسالة وغلفها ونزل بنفسه ورمها في صندوق البريد ولم يعد . دخل المستر هوكر الى غرفته فرأى المكتب مختلط المواد فعلم ان ادورد كان منشغلاً كما توقع لانه لاحظ قلقه في اليوم الفائت . التفت الى

سلة الأوراق المنفية فرأى ورقاً كثيراً مرماً فتناول الأوراق واحدة واحدة
وعلم ما كان ادورد يحاول ان يكتبه

ولما كان المساء قال المستر هوكر لادورد وهما وأليس الى المائدة :

« اظنك تتوقع خيراً غداً ان شاء الله يا عزيزي »

فارتمش بدن ادورد واكدت طلعتة قليلاً لانه ظن ان خاله عرف بكل

ما كان وفكر في كيف عرف فلم يفطن الى الارق التي رماها في السلة

فاكتفى بقوله « من يعلم » ولم يزد كأنه كان يابى الخوض في الحديث . اما

أليس فلم تعلم معنى ما تبودل من الكلم القليلة بين ابها وادورد ولا المناقشة

التي جرت بينهما في اليوم السابق



الفصل الحادي عشر

« عزم النفس السماء »

وفي صباح اليوم التالي ورد الى ادور الرسالة الآتية :

مستر ادورد سميث

انتظرك غداً الساعة الحادية عشرة في قصر موتمار واذا لم ترني في باب

الحديقة وحدي فابتمد . لا تدع اخي روبرت يراك او يعرف بوجودك

هناك . أبد هذه الرسالة من الوجود والا كانت الاولى والاخيرة

لويزا

بيني وبينك

قرأها ادورد اولا وثانياً وثالثاً فلم يفهم منها شيئاً غير موعد اللقاء فخار

في أمره ولكنه رجح اليأس على الامل فامتطى جواده فوصل الى قصر

موتتمار الساعة العاشرة فدنا من باب الحديد فوجده مقفلاً فعاد الى وراء
الآكام وصار كل هنيهة يشرف على الباب فيجده مقفلاً وما دنت الساعة
الحادية عشرة حتى كان قد أطلَّ عشرين مرة وفي المرة الاخيرة وجد لويزا
واقفة في باب الحديد فترجل ودنا منها فجئنَ اذ رأها وقد تقرَّح جفناها
من البكاء فامتثل امامها وفؤاده ينتفض جزعاً وسألها من غير ان يحياها
- ماذا جرى يا لويزا؟

- نتيجة ما عملت امس . اما نصحتك ألا تفاوض والدي بشأني
- ماذا جري؟

- قرأ ابي رسالتك ثم دفعها الى امي فامعنت النظر فيها قليلاً . وكنت
ارى ضبابه من الغيظ تتكاثف على محياها . ثم التفتت بروبرت وقالت
« لا يأت ادورد سميث الى هنا بعد ولا تجتمع به في مكان » فسألها اخي
عن السبب فقالت « كذا اريد » ومن ذا يرد ارادتها

- وماذا قال ابوك؟
- لم يفه بنت شفة ولكن كانت ملامحه تدل على موافقته لامي
- هل قرأت رسالتي؟
- نعم قرأتها انا وروبرت
- وماذا قال روبرت؟
- لم يقل شيئاً ولكنه لا يسمعه الا مطاوعة امي
- اذا أصبح روبرت خصمي
- كذا في الظاهر على ما اظن

- أي شيء في الرسالة أغضب أمك ؟

- ذلك ما لم استطع ان افهمه . فقد كان يمكنها ان ترفض الالتباس

من غير أن تفضب وتسخط

ثم تأمل ادورد برهه وقال بفكره « ما هي الا وشاية خالي . لا يستحيل

انه لما رأني مصرّاً على مخالفته ومطاوعة هواي اوعز الى اللإيدى بنتن

بأسلوب لا اعلمه ان بيني وبين لويزا صلة حب فنفرها مني حتى اذا انتهت

رسالتي اليها حمي غضبها . ألا يحتمل ان يكون قد فعل ذلك ؟ نعم نعم

هذا هو الأرجح فاني ارى هذا الرجل لا يغفل عن اي وسيلة لرد سبيلي

الى ابنته فما العمل ؟ » بعد هذا التأمل قال :

- لويزا ؟

- ماذا ؟

- بنيت في الليل الاسبق قصوراً في الهواء ولكني سأبنيها على الصخر

ان شاء الله

- لم افهم

- سيستحق ادورد سميت يدك ان شاء الله

- لم افهم بعد

- ستفهمين . ولماذا كنت تبكين ؟

- لاني سأحرم رؤيتك

- ستحرمينها الى حين وكل آت قريب . لا تفوتني الفرص التي

اقدر ان اجتمع بك فيها . ولا اظننا يتعذر علينا ان نجتمع كما اجتمعنا الآن

- ولكن هذا الاجتماع لا يليق بابنة اللورد بنتن يا ادورد
فقاطعها قائلاً :

- صدقت ولا يليق بحبيبة ادورد سميث . فصبراً يا لويزا
ثم استأنفت قائلة : - وقد أتيت مع روبرت اليوم ومنذ هنيهة حملته
ان يذهب الى الصيد لكي يخاو لي المقام والتقيك في الموعد المعين ولولم
تقضى الضرورة بهذا الاجتماع لما طلبتك . ماذا جرى برسالتى لك ؟
- ها هي

فتناولتها من يده ومزقتها حتى صارت هباءً وثرتها
- لا بد ان تدعو الضرورة ان نجتمع يا لويزا لكي نتفاوض بشأننا
فكيف ارسل اليك خبراً ؟
فكرت لويزا هنيهةً ثم قالت

- اقصد الى الاوبرا او الى حيث يتمكن ان اراك فاذا رأيتُ في صدرك
وردة صفراء عرفت ان امرأ يقضى باجتماعنا فاكتب اليك عن الميعاد
والمكان الممكنين للقائنا

- ولكن قد تغير عنواني

- ما هو الآن ؟

- لا ادري

- كيف لا تدري ؟

- لاني صممت الآن ألا اعود الى بيت خالي بعد

- لماذا ؟

- لاني اود أن اعيش مستقلاً معتمداً على نفسي
- ماذا تفعل ؟
- لا ادري
- اين تسكن ؟
- لا ادري . اول رسالة ترسلينها لي اتناولها من دار البريد نفسها ومتى اجتمعتنا ثانية تعلمين عنواني
- تأملت لويزا برهة ثم قالت : لماذا تنفصل عن خالك يا ادورد ؟
- لكيلا اكون اسيره على الدوام
- بماذا ياسرك ؟
- ما دمت عنده ينصح لي ان آخذ ابنته محفوفة بمال ومجد اما المال فاعلم انه وفير واما المجد الموعود به فلا اعلمه
- فهبط قلب لويزا عند هذا القول ولكن تجادت قائلة : - أهذا هو الاسر ؟
- بل هو الموت
- بماذا تعاب ابنة خالك ؟
- تكاد تكون العذراء مريم
- عجيب ! كمال ومجد ثم موت يا ادورد . لماذا تأبى نصيح خالك ؟
- فظفر الدمع من عينيه وقال : اذاً لا تحيينني يا لويزا
- ويلاه ! كيف انا هنا ولماذا ؟
- اذاً كيف تطيقين ان اصغي الى نصيح خالي ؟

- بربك لا اطيق
- اذاً تتحنين حيي ؟
- بربك اغفر لي
- ثم سكتنا هنيهة ولويزا اقتضبت ذلك السكوت
- ارى انا نؤلف رواية حقيقية يا ادورد او انا نمثل دوراً
- ماذا تعنين ؟
- أرى أن المستقبل كثير الحوادث لنا . وربما كان بعضها محزناً
- أتظنين ان الحوادث تؤثر على حبننا
- كلاً وإنما اخاف عليك من استقلالك
- اذا كنت تخافين عليّ فما انا المستحق حبك يا لويزا
- أعندك مال تشتغل به
- ولا مال لاعيش يوماً واحداً
- ويلاه ! ماذا تفعل ؟ ارسل لك مبلغاً في اول الامر
- اردّه ولا تعودين ترين وجهي
- اذاً على مَ تعتمد ؟
- على نفسي الكبيرة وعقلي السليم
- فتمتمت قائلةً . لا يجديان شيئاً في اول الامر . مهما كان المصباح وفير
- الزيت لا يشتعل الاً من لهيب الثقاب أولاً
- اطمئني عليّ يا لويزا فاذا لم اجعل نفسي رجلك الكفء فلا
- استحق محبتك

الفصل الثاني عشر

« المذلة بقدر الشتم »

في صباح اليوم التالي نهض المستر هوكر من سريره وهو مضطرب البال على ادورد لانه لم يعد الى البيت منذ صباح اليوم السابق . ولما فحص البريد وجد بين الرسائل رسالة منه هذا نصها :

سيدي اخلال المستر هوكر

مهيا تغير عليّ الزمان اخل اسير فضلك . لو ملكت العالم كله وقدمته اليك بقيتُ مديوناً لك . صرت الآن رجلاً مستوفياً المعرفة اللازمة للعمل بفضل عنايتك فأثرت ان استقل بمعيشتي واعتمد على نفسي فأذن لي بذلك تفضل انت وعزيزتي أليس بقبول فائق احترامي

ادورد سميث

فقرأها المستر هوكر مرتين وثلاثاً والدمع يكاد يذرف من مقلتيه ثم دفعها لأليس فما اتمتها حتى اسرعت الى غرفتها وجعلت تبكي بكاءً مرّاً وهي لا تدري من تلوم لانها لا تعلم السبب الحقيقي لهجران ادورد . ثم راجع المستر هوكر الرسالة فلم يجد فيها عنواناً فخار في كيف يهتدي الى مقره فانتظر ان يستعلم عنه من اصحابه لعلهم يعرفون محل اقامته

ثم جعل المستر هوكر يفكر في انفصال ادورد عنه فلم يجد سبباً له سوى إلحاحه عليه بردّ قلبه عن حب محبوبته الى حب أليس ولكن لم يجد هذا السبب كبيراً الى حد ان يحمله على الانفصال والاستقلال

والظاهر ان المستر هو كرسى نسي مضايقتة له بهذا الاحلاح في المرة
الاخيرة حتى كاد يكون بصيغة التهديد

قال في نفسه : « انت هي الآثورة طيش اوزوبعة نزع هاجها
عنقوان الشباب ولا تهمدها الأمدلة الوحدة . ادعه يستقل ويرى قيمة
نفسه ويتحقق غروره . ماذا يفعل لا مال في يده ولا يعرف صناعة فكيف
يسترزق ليعيش عيشة الرخاء التي تعودها في هذا البيت . لا بد ان يشعر
بعجزه ويعود من نفسه صاعراً واذ ذلك يسهل علي قياده . ولكن ادعه
للاقدار؟ ويلاه ! قد يدفعه اليأس الى ما لا تحمد مغبته . كلاً لا ادعه بل
امده بقليل من المال حتى متى انفق وعرضه ناب الفاقة يندم فيعود لين الجانب »
اما ادورد فكان قد عاد توّاً من مونتمار الى منزل خاله حيث سلم
الجواد لأحد الخدم وذهب من هناك الى ادارة جريدة « الدايلي ميل »
وطلب ان يقابل المدير فقبل له انه محفوف بالشغل فليقل ماذا يريد منه .
فدفع للخادم قصيدته « الترجسة الذابلة » مع بطاقة وقد كتب عليها :
« اعرض القصيدة للبيع وارجو وظيفة في احدى دوائر التحرير » . وبعد
برهة عاد الخادم ببطاقة اخرى وقد كتب المدير عليها « اما القصيدة فتقبلها
الجريدة بعشرة جنيهات واما من حيث الوظيفة فبكل اسف لا حاجة
لمحرر او لمساعد محرر الآن »

رضي ادورد بالعشرة جنيهات ينفق منها على نفسه ريثما يجد خدمة
وقبضها في الحال ومضى الى فندق س . في شارع ل نمره ٣٣٣ حيث
استأجر غرفة بجنيهين ونصف في الشهر دفعها سلفاً ونام تلك الليلة هناك

ولكن لم تغفل له عين لانه كان ايلتشد ركام افكار وبجر آمال
 قرر ان يرضى بأبي وظيفة ولو صغيرة بحيث لا تقل ماهيتها عن
 عشرة جنيهات في الشهر وان يستعويض عن المركبة بالترامواي والسكة
 الحديدية وعن البيرا بالماء وعن الاطياب بالطعام البسيط المغذي وعن
 المقصورة (اللوج) في الاوبرا ونحوها من الملاهي بالكروسي مرة في الشهر
 بدل ٥ - ١٠ مرات . وهكذا نظم ادورد لنفسه نسق معيشة جديدة
 بحيث لا ينفق في الشهر اكثر من عشرة جنيهات

زار في اليوم التالي اكثر ادارات الجرائد في لندن يلتمس وظيفة فلم
 يجد وفي اليوم الثالث جعل يلتمس وظيفة في بعض الشركات المالية فلم يجد
 حتى ضاق ذرعه وكاد يستولي عليه اليأس . بقي نحو اسبوعٍ يبحث عن
 مسترزقٍ فلم يَهْتَدِ

أما في لندن المدينة العظيمة وظيفه لادورد ؟ أم ان ادورد عديم
 الاهلية ؟ لا هذا ولا ذاك بل ان ادورد أشمُّ النفس لا يلتمس وظيفة
 بتواضع وتذلل ومداهنة وتزلفٍ في حين ان الناس اليوم لا يقضون حاجة
 لطالب إلا اذا استوطأوا نفسه تحت اقدام كبريائهم وعجرفتهم . ثم ان
 الانسان مها كان ذا اهلية فلا تعتبر اهليته شيئاً اذا لم يكن محفوفاً بالتوصيات
 لان الناس لا يعتبرون المرء لاجل شخصيته ولو كان نبياً زمانه وانما يعتبرونه
 لاجل البئنة التي هو فيها ولاجل من يشد ازره ولو كان اخس من كلب
 واجهل من همجي . وادورد استنكف جداً ان يستوسط احداً من
 اصحابه أو اصحاب خاله أو ان يأخذ كتب توصية منهم . وزد على ذلك انه لم

يشتغل بعد لكي يعلم شأنه في دار العمل ويكون له من آثار أعماله برهان على اهليته

العشرة جنيهات التي اخذها ثمن قصيدته لم يبق منها في آخر الاسبوع سوى شلينين لانه دفع منها اجرة الغرفة سلفاً جنيهين ونصفاً واشترى بدلة وبعض الملابس الداخلية بأربع جنيهات لانه لم يأخذ من بيت خاله شيئاً سوى البدلة التي كان يلبسها . وكان يضطر بعض الاحيان ان يركب المركبات وهو يجول من مكان الى آخر يبحث عن وظيفة فلذلك لم يبق معه في اليوم السابع سوى شلينين فقط فاذا جال في المدينة انفقها اجرة انتقال من مكان الى آخر وبقي صائماً . وان انفقها على الطعام لم يستطع ان يتعد عن غرفته لانه مهما تجدد واحتمل فلا يقدر ان يعيش ساعات على قدميه . اذا إما احتباس أو صيام وفي اليوم التالي الامران معاً

أيستدين ادورد من اصحابه ؟ لم يعتد . وقد عزَّ عليه جداً ان يلجأ الى احدٍ منهم وهو شارد من بيت خاله لانه قدر انهم يترددون في اراضه وهو على هذه الحالة لظنهم انهم قد لا يستوفون ما يقرضونه اياه بل شق عليه جداً ان يعرف احد من اصدقائه بفاقته . وقد كان مخطئاً بظنونه هذه لان اصدقائه لو عرفوا بأمره لتهالكوا في بذل انفسهم له وكان اشدهم امتناناً له من يقبل هو اكبر قرص منه وأعتبهم عليه وألومهم له من يتجنب هو ان يقبل منه خدمته . ولكن أنفة ادورد انتفخت حتى استنكف ان يقبل المنحة ولو نزلت عليه من السماء بل استنكف ان يبيع البدلة التي اشتراها لكي ينفق ثمنها على ضروريات معيشته اليومية

قال في نفسه « اذا لم يكن بدُّ من الاحتباس والصيام معاً منذ غدٍ فليكونا اليوم اذلا فرق بين اليوم والغد . ولويزا قالت لي لا تمدّ الايام بل اعتبر ان لا زمان في الوجود فاليوم والغد شيء واحد » وبعد ان كاد يخرج من غرفته اعلم فكرته قليلاً ثم عاد فاقفل باب الغرفة وجلس الى مكتبه وجعل يقدم زناد قريحته وينظم قصيدة لكي يبيعها

الفصل الثالث عشر

« IN. OUT. »

على باب كل غرفة في ذلك الفندق بطاقة معدنية مكسوة بالميناء على الوجه الواحد منها مكتوب « IN » أي ان صاحب الغرفة موجود فيها وعلى الوجه الآخر « OUT » أي انه غائب عنها فلما كان ادورد على أهبة الخروج قلب البطاقة فجعل ظاهرها « OUT » دلالة على غيابه ولما عدل وعاد وأقفل الباب نسي أن يقلبها للدلالة على وجوده في غرفته بقي ادورد حابساً نفسه في غرفته كل ذلك النهار حتى أتم القصيدة التي كان ينظمها فاستلقى على المقعد واهي القوى أولاً من شدة التعب العقلي وثانياً من شدة الخور لانه منذ المساء الأنف لم يذق طعاماً . وبعد هنيهة عاد فقرأ قصيدته وطرب بها جداً وقدّر انه سينال ثمناً وافراً بها ثم طواها وأودعها جيبه ونزل الى المطعم فأكل . ولما قدّمت له قائمة حساب وجد ان حسابه يزيد ربع شان على الشنينين اللذين يملكهما فتمنى لو أن الارض تفتح فاها وتبتلعه . سبق السيف العزل ماذا يفعل . دفع لخادم المائدة الشابينين

وقال له غداً أدفع لك الباقي مع حساب الوجبة التالية . فنظر اليه الخادم
شزراً لأنه لم يعتد مثل هذا الوعد وما حدث معه ولا مرة أن آكلا عنده
يسوّف حساباً أو جزء حساب

عند ذلك شعر ادورد بمنتهى الهوان وكاد يظفر الدمع من عينيه .
وقد اعلم ذهنه لكي يدفع عنه هذا الهوان فخطر له ان يستعيد عمل حسابه
فأعاده الخادم فاذا بالحساب الاول غلط والصواب انه ينقص عن
الشلنين ٣ بنسات فأخذها ادورد من غير أن ينظر الى الخادم مشفقاً أن
يزيد خجله من نفسه . وعاد وليس معه من النقود الأ ربع شان
وفي ما هو صاعد في سلم الفندق الى غرفته لكي يبيض القصيدة
التقى به الفندقاني فقال له

- كنت كل النهار غائباً يا مستر سميث . تفقدنا غرفتك مراراً فلم
نجد على الباب « IN. » ولا مرة واحدة

- وما الداعي ؟

- أتى رجل الى هنا وأودع لك عندي هذه الورقة المالية بقيمة مئة
جنيه وهذه الرسالة

فتناول ادورد البطاقة وقرأ ؟

« حضرة المستر ادورد سميث

« بعد السلام . اذا كنت تجد استقلالك اهنأ لك وأشرف فلا انكره عليك
بل أهنيك به . صرت رجلاً وبذلك أسر أن اراك تتمتع بحريتك الشخصية .
وان كنت ترى نفسك قد أصبحت في غنى عن عنايتي بك فلا أظنك تستغني

عن قليل من المال في أول مرحلة من مراحل استقلالك ولذلك ارجو منك أن تقبل هذه القيمة الزهيدة الآن ولا أزال لك عند كل اقتضاء . واقتبل فائق احترامي
جوزف هوكر «

قرأ ادورد هذه الرسالة غير مرة وهو يستغرب لمجبتها لانها تراءت له جفاء فاشتد غمُّه وتزايد غيظه حتى صار يشعر أن كل حرف فيها وخزعة في فؤاده ثم سأل الفندقاني

- ألم يقل لك انه سيأتي ليراني ؟
- كلاَّ

فصعد ادورد الى غرفته وأودع رسالة خاله والورقة المالية في مغلف مصمما على أن يردها له في البريد . ثم جلس الى مكتبه وبيّض القصيدة ونزل فمر بدار البريد وأرسل المغلف (مسوكراً) . على أن ادورد تسرع في ما فعل وفي ما ظنه من جفاء خاله لان خاله لو لم يكن ينوي زيارته لما أتى الى الفندق وأودع له الورقة المالية عند الفندقاني بل كان قد ارسلها في البريد . ولكن هو نزق الشباب يتزايد في حال الغضب . ثم قصد ادورد الى ادارة جريدة « الدايلى ميل » وعرض القصيدة بواسطة الخادم على المدير فردّها هذا من غير أن يقرأها وكتب له على بطاقة :

« نشرنا قصيدة النرجسة فكان صداها ضعيفاً جداً ولذلك نأسف على

اننا لا نقدر ان ندفع ثمناً لهذه القصيدة الثانية ومع ذلك نؤمل انك بمزاولة النظم تبلغ شأواً بعيداً في الشعر «

وقد ظن ادورد أن المدير قرأها وتأملها جيداً فلم ترق له فعاد الى

غرفته كاسف البال وهو يعتقد ان القصيدة لا تصاح فاستحى أن يعرضها على جريدة أخرى لئلا يخذل أشد من هذا الخذلان .

أضجع في سريره منتهاك القوى لانه مشى مسافة طويلة اذ فرغ جيبه من بنساته ولانه كان حزين القلب وكان ظل اليأس يتكاثف على نفسه ونور الرجاء يتلاشى من امام بصيرته حتى امتزجت ظلمات قنوطه بظلمة ذلك الليل ولولا الرجولية لبي

ندم على رد الورقة المالية التي أودعها خاله له مع الفندقاني ولكن نفسه الشاحنة قالت « لا . لا بأس . حسناً فعلت » . ثم خطر له ان يطالع لويزا على حاله ويستدين منها نقوداً لانه اعتقد انها هي الصديق الوحيد الذي لا يستهين به في هذه الحال . ولكن اقشعرّ بدنه عند هذا الفكر وحسبه تجربة من ابليس

بزغ الفجر وادورد لم تكتحل عيناه بغفلة فنهض من سريره وجعل يتمشى في أرض الغرفة وهو يفكر ماذا يفعل . لم يعد ياتفت الى القصيدة ولا خطر له ان يسعى الى الاسترزاق من القلم فصار يفكر ان يطلب عملاً في بعض المعامل بأي راتب وان يختصر أسلوب معيشته أكثر من قبل وان يغير اسمه ليتنكر حتى عن لويزا ما دام في حال سيء

الفصل الرابع عشر

« فوز النفس الكبيرة »

ولما كانت الساعة الثامنة وهو لم يزل في غرفته قرع بابه ففتح فاذا مع

الخادم رسالة يدل مغلفها على انها من جريدة الدايلي نيوز ففضها وقرأ ما يأتي :
 سيدي - قرأت لجنة المحررين في ادارة « الدايلي نيوز » قصيدتكم
 « الترجمة الذابلة » المدرجة في الدايلي ميل فأعجبت بها ولذلك قررت ان
 تقترح عليكم نظم قصائد مختلفة على نظرها وتبناها منكم بالثمن الموافق
 المدير

هـ . ص

فسرني عن قلب ادورد شيئاً وتناول قصيدته الثانية وجعل يقرأها
 فكان يطرب بها وغالط نفسه مراراً في انها بديعة ولكن كان اعجابه بها
 يتغلب على المغالطة . وأخيراً قال لنفسه « لا ريب أن مدير الدايلي ميل
 الذي رفضها بالامس جاهل لا يفهم الشعر » ثم لفها ووضعها في جيبه وقصد
 الى الدايلي نيوز فشى ساعة الى ان وصل فلما قرأها المدير نقده ثمنها مئة جنيهه
 فعاد من ادارة الجريدة بمركبة ونور البشر يمزق غياهب اليأس التي تلبدت
 في سماء أمانيه في الايام السابقة

جاء توّاً الى الفندق وكتب لخاله ما يأتي :

سيدي المحترم

أشكر فضلك الذي لن أنساه ولن أقدر ان أفيكه . بعث اليوم قصيدة
 من نظمي بمئة جنيهه . عشرة جنيهه تكفيني نفقة شهر فخذ التسمين الباقية
 من أصل الاموال الغزيرة التي انفقتها علي . ما دمت في قيد الحياة وما دمت
 اكسب افيك بعض فضلك . لا تكلف نفسك ان تسعى اليّ فانا احتاج
 اليك فاسعى اليك .
 ادورد سميث

أما ما كان من المستر هوكر بعد غياب ادورد الفجائي فإنه بحث كل ذلك الأسبوع عن مقامه إلى أن هداه إليه أحد معارفه الذي صادفه مرة خارجاً من ذلك الفندق . فقصده إليه لكي يراه ويقدم له المئة جنيه فلم يتفق له أن يجتمع به فترك له المبلغ مع الرسالة كما ذكر آنفاً ومضى على نية الرجوع في فرصة أخرى ولكن لما رجعت له رسالته والمئة جنيه التي أودعها مع الفندقاني لادورد بكى ثم تجدد وعدل عن زيارته ليرى ماذا يكون من أمره . ولما أرسل ادورد له التسمين جنيهاً طي تلك الرسالة المملأى من الأنفة كبر الأمر عليه وصمم على تركه ثم رد المبلغ له فأرسله ادورد ثانية فقبله المستر هوكر وكتب لادورد اني ادّخره باسمك في بنك التوفير فأجابه ادورد اني انكرها . وبقيت هذه الاموال موضوع تدافع لاتنازع بين الخال وابن الاخت

وقد اصرَّ ادورد على كل ذلك اي على هجران بيت المستر هوكر ورد الاموال التي انفقها عليه أولاً لكيلا يكون مقيداً بجميل خاله ولا تبقى له عليه دالة الاب على الابن فيضايقه حيناً بعد آخر بعرض أليس عليه زوجة . وثانياً لتغيظه منه لانه رجح بل أكد ان سخط اللايدي بنتن وإبائه تهاد خوله الى القصر ومعاشرة ابنها روبرت لا يمكن ان يكون سببهما الرسالة التي طلب فيها يد لويزا لان جل ما للايدي بنتن من الحق هو ان ترفض الطالب لان سخط فلا بدّ اذاً ان يكون سببها رسالة بعث بها خاله للايدي بنتن يشي فيها به وشاية تستوجب سخطها عليه فإما ان يكون قد أرسلها على أثر محاورته الاخيرة معه التي انتهت بنزول المستر هوكر من البيت ساخطاً حانقاً او على

أثر ارسال ادورد رسالة الطلب للايدي بنتن . والذي حمله على هذا الظن الثاني انما هو الكلمة التي قالها له خاله وهما لدى المائدة في مساء اليوم الذي كتب فيه رسالة الطلب وهي : « غداً تنتظر خيراً ان شاء الله يا عزيزي » فمن هذه الكلمة ظن ادورد ان خاله عرف برسالة الطلب . ولما علم من لويزا ان امها سخطت قدر ان خاله اردف الرسالة المذكورة برسالة وشاية تُغضب اللايدي بنتن وتكفها عن قبول الطلب اذا كان ممكناً ان تقبله وانه فعل ذلك لكي يزيل العقبة الناهضة في سبيل مشروعه أي اغراء ادورد على أخذ يد أليس

على ان ظن ادورد هذا بعيد الاحتمال جداً . ولكن الانسان متى خابت آماله توهم كل الناس حتى أقاربه أعداءه . وادورد نفسه استضعف هذا الظن ولم يجسر أن يعاتب خاله على موضوعه وانما بقي متغيظاً في نفسه ومقسماً ألا يعود عالة عليه بل صمم على أن يفيه كل ما أنفقه وان ينشئ لنفسه مجداً يستحق به يد لويزا من غير أن يستعين بفضل خاله

الفصل الخامس عشر

« صعود سربع »

ذلك ما كان من أمر ادورد مع خاله وأما ما كان من حاله في عهد استقلاله فهو ان القصيدة الثانية التي نشرتها « الدايلي نيوز » كان لها صدى بين قراء اللغة الانكليزية ظل يدوي في العالمين حتى ظهرت في الاسبوع التالي قصيدة ثالثة له فاقت على شقيقتها بداعة . ومنذ ذلك الحين كانت

رسائل مديري الجرائد والمجلات تتوارد اليه وكلها التماسات لما ينظمه من القصائد وقد تنافس أولئك المديرون في عرض الاثمان الباهظة لقصائده حتى بلغ الثمن الذي عرضته الدايلي ميل (التي رفضت قصيدته الثانية) ألف جنيه وبعد ذلك طلبت جريدة التيمس الى ادورد ان يكون بين محرريها الكبار فرضي على شرط ان يبيع مقالاته لا أن يأخذ ماهية شهرية . وفي عهد قصير اشتهر كاتباً سياسياً كما اشتهر شاعراً وصارت الجرائد تغريه بالاثمان الباهظة لمقالاته . فاجتهد في دراسة السياسة وقد استكد قواه في دراستها ما وضعه نصب عينيه من امل الارتقاء في سلمها حتى يبلغ الى قمتها ويتبوأ منصباً في الحكومة

ذاق ادورد الذل والهوان اسبوعاً واحداً فقط وبعده اصبغ عزيزاً وفير الدخل جداً حتى انه دفع نخاله في ذلك العام ما يساوي كل نفقاته عليه في العشرين سنة التي غبرت ومع كل ذلك ظل مصمماً على ان يدفع له طول حياته كل ما زاد على نفقاته وكان ما يزيد عليها يبلغ اضعاف اضعافها . وأما المستر هوكر فكان يودعها البنك الاقتصادي باسم ادورد

هذا من حيث غنى ادورد واما من حيث جاهه فقد اصبغ ذا مكانة سامية في اندية الكبراء والشرفاء وكان يشار اليه بالبنان . اما اللايدي بنتن فما زالت لذلك العهد تأبي اقل صلة به ولكنها في المجالس العمومية لم تكن لتنكر مكانته الادبية والاجتماعية ولا استنكفت ان تمتدح ذكاه ونبالة نفسه حتى كان يستدل انها تودده . واما اباءتها ان يدخل قصرها او ان يكون صديقاً لاحد من أسرته فكانت سرا مكنوناً

واما لويزا فكانت فرحة جداً بارتقاء ادورد حينها ومؤملة نتيجة سعيدة لها من جراء بلوغه الى قمة المجد التي كان يرقى اليها بسرعة . وكانت كل حين بعد آخر تراه في المحافل العمومية ولا تجسر ان تكلمه امام أمها ولكنها كانت تنغم الفرص الموافقة للقائه وبث عواطفها نحوه . كانها بتلك الاجتماعات تلقم وطيس حبه وقيداً لتزيد قواه في السعي الى العلى وطلاب المجد

اما أليس ابنة خاله فلما رأت انها كلما تقربت منه وتحتبت اليه زادته ابتعاداً عنها وان ضغط ابها عليه قد نفره حتى هجر البيت وانه كيف بحب اللايدي لويزا بنتن - قالت في نفسها « حتى متى اترامى عليه » وجعلت تلك الفيرة تتحوّل الى كره شيئاً فشيئاً حتى زالت تماماً وساد الكره مكانها برهة قصيرة . ثم جعل الكره ينقش شيئاً فشيئاً عن صفاء فؤادها حتى انجلي عن الحب الاخوي الثابت فصارت تتوق ان تراه في البيت كاخ . وفي ذات يوم كانت وابوها في الحديقة يتمشيان فقالت :

- يا أبتاه . ألم تشتق الى ادورد ؟

- جداً يا ابنتي

- ولماذا لا تراضيه وتدعوه كل يوم بعد آخر ؟

- راعيت عواطفك بذلك فاني كنت اظن انك اصبحت تكرهينه

لاجل اعراضه عنك ومجافاته لك وخشونته في معاملتك

- كنت اكرهه كما ظننت ولكن لم يدم هذا الكره فصرت اتوق

اليه كأخ . سامحه يا ابي وادعه فان البيت قائم بدونه . لم اعد ألومه على

اعراضه اذ اقتنعت الآن ان قلب الانسان ليس في يده ليهبه متى شاء
لمن شاء

فتأثر المستر هوكر من كلام ابنته الصادر عن فؤاد كاه طيبة ولكن
بقي في قلبه سحابة خفيفة من الحقد على ادورد لانه بعناده خيب كل
آماله الكبيرة التي ظل يحلم بها عشرين سنة على انه مع ذلك غلبت عواطفه
الرقية على حقه وسعى الى مرضاة ابن اخته . ولكن كان ادورد قد ارتقى
في سلم نجاحه وازداد جفاؤه خاله بعد الفراق الطويل فلما تقابلا تعابها
قليلاً وتصافيا وزار ادورد بيت خاله وليكنه اذ اصبح لذلك العهد في
شواغل وشؤون صحافية وسياسية لم يتسن له ان يزوره الا كل اسبوع
مرة زيارة قصيرة

الفصل السادس عشر

« ويا نيك بارونهار من لم تزور »

على ان ادورد رأى ان بلوغه الى قمة المجد الذي ينتهيه ان كان
ممكناً غير قريب بل لا بد له من اعوام فلم يطق صبراً طويلاً على
امسالك لويزا عنه وكتمان هواهما فجعل يفكر عساه يجد حلاً قريب المنال
لهذه المسألة فكان لا يتوسد فراشه الا وهو يهجس فيها . وقد خطرت له
وسائل عديدة لمبتغاه ولكنها تراءت له كلها عقيمة او صعبة . ومما خطر له
ان يبحث عن نسبه لعله يتوصل منه الى ما يشفي غله ولكن هذا الخاطر
كان اعقم خواطره بل راه غروراً وسخافة في ما يتعلق بنسبه . على انه

تذكر في ذات ليلة حديثه مع المستر جاكوب داي صاحب الحانوت الذي
ضممه جرحه وذكر قوله له ان يبحث عن نسبه من قبيل العلم بالشيء
فهاجت هذه الملاحظة خاطره ووال شيئاً فشيئاً الى البحث حتى اشتد
فيه هذا الميل وصار يفكر في كيف يبحث ومن يسأل . ولا ريب ان يخطر
له ايضاً ان ذلك الشيخ الحانوتي يعرف شيئاً عن نسبه ولكنه يكتمه
لسبب والألما نبهه اليه . فمزم على ان يقصد اليه ويتسقط منه ما يعرفه
من الاخبار من هذا القبيل ان كان يعرف شيئاً

وفي اليوم التالي كان ادورد يتنزه على ظهر جواده كعادته في عصارى
احد الايام فمرّ بحانوت المستر جاكوب داي . فلما رآه الشيخ خرج من حانوته
وترحب به والح عليه ان ينزل عن ظهر جواده ويستريح ريثما يشرب كأساً
من الشراب . فنزل وقعدا يتحدثان

- سمعت انك تشتغل في السياسة الآن يا بني

- نعم

- مستقبل مجيد ان شاء الله . ولماذا خاصمت خالك ؟

- من قال لك ؟

- أنسيت ان ابني هنري خادم عنده وقد عرف كل شيء حتى ما لا

ان يمكن يعرفه الخدم وهو يأتي في الاسبوع يوماً ويسرد لي كل ما يعرف

- ماذا عرف ؟

- عرف ان خالك عرض عليك ان تتزوج ابنته اليس فستمتع بمال

ومجد معاً وانك ضحيت المال والمجد لاجل حب فتاة بعيدة المنال . وانك

افترقت عن خالك وتفنيه الآن أمواله التي انفقها عليك لكيلا يبقى له سبيل
لاغرائك على انجاز امنيته

فدهش ادورد لهذا القول وسأل : كيف عرف ذلك ؟

- ان ابني ذكي نبيه ومع ذلك هو طيب القلب يحبك فلا توجس منه

- ولكن كيف عرف ؟

- عرف من دموع مس أليس ومن بعض الفاظ كانت تبلغ الى أذنيه

عن غير اصغاء منه وأتم الى المائدة ومن الاوراق المنفية التي كنت تطرحها
في السلة وهو يرميها مع الزبالة و

فانتبه ادورد الى ذلك وقال لنفسه بصوت مسموع « اذاً كذا عرف

خالي أمر الرسالة » ثم وجه خطابه للشيخ داي :

- نعم ايها العم . فاني اشفق على أليس ابنة خالي . تحبني حب الفتاة

للشباب وانا احبها حب الاخ للاخت لاننا ربينا معاً كالاخوين فيستحيل عليّ

ان احبها غير هذا الحب الاخوي ولا سيما لاني مولع بحب فتاة نبيلة ولكن

حصولي على يدها عزيز عليّ جداً لان امها من سلالة بيت شريف وزوجة

شريف فلا تشاء ان تزوجها الاً شريفاً ولذلك تراني اجاهد في عالم السياسة

الآن لعلي ارقى الى قمة الشرف . على اني مللت هذا التوقع ونقد صبري

- على ذكر السلالة فكّررتني . ألم ترل تجهل نسبك ؟

فتنبه ادورد لهذا السؤال جيداً وحزر ان الشيخ داي لا يسأله هذا

السؤال اعتباطاً بل لا بد ان يكون ينوي شيئاً أو يعرف سراً فصبر ليرى

ماذا ينتهي به تسأله الخني هذا وسأله :

- واي فخر بنسبي يستحق ان ابحت عنه ؟ سألت خالي مرة فقال لي ما كان يقوله من قبل . واخاف اني اذا بحثت عن اقاربي لأبي اجرث على نفسي عاراً او حقارةً من تقر بهم اليّ اذا كانوا منحطين

- ولكن قد يكونون معتبرين فتفخر بهم وربما كانوا اعوانك في مطامحك والّا فتتكرقرابتهم مدّعياً انك من اسرة سميت اخرى غير اسرتهم لان اسرات سميت عديدة

فأشرق وجه ادورد لهذا القول ورجح في يقينه ان الشيخ يعرف كثيراً عن سر نسبه فقال متغافلاً :

- دعني مهما كانوا فاني على ما اظن ارفع مكانة منهم ولو كانوا شيئاً في الدنيا لبحثوا عني ولم يتركوني لعناية اهل ابي

فسكت الشيخ وعلى وجهه امائر الكلام فقال له ادورد

- تكلم . في وجهك دلائل كلام احب ان تقوله وان كان سراً فبح

به ولا تخف فان صدري بئر اسرار بلا قرار

- لا أسرار عندي وانما خطر لي ان استفتيك بمسألة مهمة جداً وارجح

انك تقدر ان تصيب بالفتيا لانك تشتغل بالسياسة والصحافة الآن ومسألتي قضائية سياسية

- قل

- انما هي حكاية طويلة بمض الطول فاخاف ان تملها

- كلاً بل اسمعها بلذة مهما كانت لاني ككاتب اعرف كيف استفيد

من حكايتك

واستوى ادورد في مكانه وكان كانه كله آذان يستوعب بها حديث

الشيخ داي وصار ينتظر ان يسمع منه سراً غريباً فقال الشيخ :

- اذاً خذ كأساً أخرى من الوسكي واعرني اذنك

وناوله كأساً واعتدل في كرسيه وجعل يتكلم

- كان فتى غنيٌ من عامة الناس شريكاً لفتى شريف على معمل كبير

وكانت بينهما صداقة متينة جداً وكان للفتى الشريف أخت فطمع الشاب

الغنيٌ بيدها وطلبها الى ابيها واخيها شريكه فقبلاه بعلاً لها . اما هي

فسخطت وغضبت لانها كانت متكبرة جداً وحسبت ان قبولها بطالب

ليس من الاشراف اهانة لها وقالت « انا الآن » لا يدي « فكيف ارضى

ان اصير « مسزاً » ؟ لا ارضى بعلاً الا لورداً كابي اكي ابقى لا يدي

كما انا وكما كانت امي من قبلي » . فأغريت بثروة ذلك الفتى فلم تغر

لانها كانت تؤثر القاب الشرف على كل غنى . ولما نفذت حيل الفتى في

استمالتها صمم على ان يبذل جهدهُ في تدليل كبريائها مهما استطاع ووضع

نصب عينيه مشروعاً لذلك وهو أن يغري شريكه اللورد اخاتلك اللايدي

بان يتزوج اخته اي اخت الفتى العامي الغني فكان يبالح في اكرامه

والتودُّد اليه والفتاة لم تدخر جهداً في محاسنته حتى وقع اللورد في حبها

وطلب ان يتزوجها فاستشار اباها واخته في ذلك فابيا كل الاباءة . وقد

كان لاخته المتصلة تأثير عجيب على ابيها فحملته ان يتهددهُ بحرمانه من

لقبه وميراثه اذا تزوج تلك الفتاة لانه يشق عليها جداً ان تكون امرأة

اخيها غير شريفة الحسب

ولكن الفتى الشريف كان يحب الفتاة حباً شديداً فأشار عليه اخوها ان يتزوجها سرّاً ويبقى الزواج مكتوماً ريثما يموت ابوه فيعلمن زواجه واذ ذلك لا تعود اباة اخته تجدي شيئاً . فاستصوب الفتى الشريف هذا الرأي وعقد الزواج شرعياً سرّاً وكان يتردد على زوجته وهي في بيت اخيها من غير ان يعرف ابوه او اخته شيئاً من ذلك . بيد ان خادمه الامين الذي كان يحبه جداً كان عارفاً بكل ذلك ولا بد من معرفته ما دام لا مندوحة لسيدته وسيدته الجديدة من خدمه

وما انتهت السنة بعد عقد الزواج حتى ولدت الزوجة ذكراً وماتت على اثر النفاس فحزن عليها زوجها حزناً شديداً حتى كاد يجن وعلى الاثر مات ابوه فازداد حزنه وانتظر فرصة موافقة لاعلان زواجه واظهار ابنه اليتيم لاخته ولكنه كان في ابان حزنه يسرّي عن نفسه تارة بالشرب الى حد السكر وطوراً بالالعب وآخر بالمقامرة . وكان ضعيف القلب جداً بحيث ان تلك الاحزان واساليب معيشته المختلفة قضت عليه فجاءة في ذات ليل وهو في فندق القمار قبل ان يعلمن زواجه وابنه لاخته كما نوى اي بعد بضعة ايام لوفاة ابيه . واتفق ان كان خادمه معه اذاصابه الخفقان العاجل الذي لم يمهلهُ عشر دقائق فاستدعى الخادم شريكه اخا زوجته في الحال . فلما دخل هذا عليه وراه جثة بلا حراك بكى بكاءً مرّاً وتمتم قائلاً « مات قبل ان أنفد مأربي ولكني سأجعل هذا المأرب اتم ان شاء الله » ثم جلس يتأمل . فقال له الخادم « يجب ان نأخذه الى قصره ولكن لا بد ان تعلم اخته بعض امره قبل ان تراه لئلا تقضي عليها هذه المفاجأة الرهيبة »

فقال : « ولكن قبل كل شيء يجب ان اعرف كيف مات » . فقال الخادم .
« فجاءة مات »

- « لا يمكن . لان لون وجهه يدل على انه مات مسموماً » فذهل
الخادم من هذا الظن وقال :

- « لازمته كل هذا النهار فلم ار من يدس السم له . فلا يمكن ان
يكون مسموماً وانما مات فجاءة بعلة قلبية لاني كنت اسمع الاطباء
ينصحونه ان يغير اسلوب معيشتهم لان قلبه ضعيف جداً فيخشى عليه
من السكتة القلبية . وقبل ان يسلم روحه قال اشعر بخفقان شديد »
- « لا . لا يفيد هذا التعميل » . ونظر اليه نظرة غضب مخيفة

ثم نهض وخرج خارجاً وعلى وجهه امارات الشرفا وجس الخادم منه
شراً فقبمه من حيث لا يدري فسمعه يقول لخادم الفندق « ادع الشرطي
حالا » فسأله خادم الفندق السبب فقال « ان اللورد الذي مات عندهم
مات مسموماً ولا بد ان يكون خادمه قد دس له السم طمعاً في نقوده »
فلما سمع خادم اللورد هذا الحديث المختصر اضطرب وخاف جداً
وقال في نفسه لعل احدًا دس السم لسيدي فمات فتثبت على الشبهة بي فما
خطر لذلك المسكين البريء الا الفرار فاختماً في زاوية ريثما عاد اخو
زوجة الميت الى الغرفة . وفي لحظة اصبح الخادم خارج الفندق فركب
مركبة درجت به الى قرب ضواحي المدينة فتركها واوهم ان يدخل منزلاً
ريثما عاد الحوذي بمركبته . ثم استأنف السير مسافة واكثرى مركبة
اخرى نقلته الى آخر الضواحي ومن هناك مشى الى اقرب محطة فركب

السكة الحديدية الى ليثربول واقام فيها باسم غير اسمه وحاق لحيته وشاربيه
وبدل ملايسه فصار رجلاً آخر وجعل يشتغل آمناً . وقد مضى على هذا
الحادث اكثر من عشرين عاماً . فهل يقبضُ على الخادم كجان الآن لو اعلن
نفسه ؟ هذه مسألتى لك

- لا اظن انه يقبض عليه بعد هذه المدة الطويلة
وكان ادورد يسمع هذه الحكاية مبهوتاً وهو يقول في نفسه « من
هذا اللورد ومن هذا الفتى الغني » . ولكنه صبر ريثما استتلى حديث الشيخ
فبعد اذ اجابه على سؤاله سأله :

- ولكن قل لي هل ثبت ان اللورد مات مسموماً ؟
- ذلك ما لا ادريه ولكني ارجح ان الخادم صادق في ما رواه عن
موتة سيده بالسكة القلبية

- ولكن لماذا يتهمه اخو زوجة اللورد بهذه التهمة ؟
- فكّرت كثيراً في هذا الامر فخطر لي انه يودُّ ان يكتّم امر زواج
اخته ريثما يجد مشروعاً آخر لتنفيذ امنيته في اغاظة الشريفة المتصانفة التي
رفضته بعلاً لها . وبما ان الخادم هو الشخص الوحيد الذي كان يعرف سر
ذلك الزواج لم يرَ بداً من ابعاده ففعل ما فعل لكي يحمله على الهرب
والاختفاء وانكار كل علاقة له بالشريف واهله

- ولكن ماذا يفيد كتم زواج اخته المتوفاة في تنفيذ مآربه

فابتسم الشيخ قائلاً : - يفيد

- كيف ؟

- كان لذلك العهد قد تزوج ورزق فتاة ، فيظهر لي انه خطر له ان يحفظ ابن اخته عنده ريثما يشب مع ابنته فيزوجه اياها وشم يعلن نسبه وحينئذ لا تدري تلك الشريفة المتكبرة الا ولها ابن اخ شريف وقد تزوج ابنة الرجل الذي رفضته بعلا

خندق ادورد في الشيخ جاكوب داي برهه ثم قال:

- عن تتكلم ؟

- ماذا يعنيك ؟

- ارى قصتك انتهت بمثل بدء قصتي فقل بربك من هذا الرجل

الغني ومن ابن اخته وابنته ومن الشريفة المتكبرة ومن اخوها ؟ قل لي

- ذلك سرُّ يابني لا اقدر ان ابوح به لكلا يؤذي الخادم

- بربك لانكتم السرَّ عني فاني اقسم لك اني لا ابوح به اذا تحققت

ان الخادم يؤذي . أفأنت الخادم ؟

- نعم أنا هو واسمي الحقيقي جوزف برون والرجل الغني هو المستر

جوزف هو كروا بن اخته اللورد ادورد سميث ابن اللورد هر كورت سميث

فانقضت صاعقة من الرعب على هيكل ادورد زلزلت مفاصله وانتصب

منها شعر رأسه وتجمدت صمّامات فؤاده حتى كاد يُقضى عليه كما قضى

على ابيه في فندق القهار منذ عشرين عاماً واكفهرّ وجهه وفي الحال امتلك

روعه وقال : أتقسم انك صادق في ما تقول ؟

- اذا لم تصدقني فلا تصدق قسمي فساني عن بينة حسية

- أعندك بينة حسية ؟ تكاد تجنني بهذا البيان حتى اظنني في حلم

- بل انت في حقيقة ياسيدي اللورد . عرّ ظهرك فاريلك بواسطة المرأة صليماً موشوماً على الجانب الايمن منه هو دليل لتحقيق شخصيتك . وقد اثبت هذا الدليل في ورق بامضاء ابيك كتب على اثر ولادتك بناءً على مشورة خالك

فما انتهى المستر داي من الكلام حتى كان ادورد قد خلع ثوبه وتناول الشيخ في الحال مرآتين صغيرتين ووضع الواحدة مقابل الوشم والاخرى مقابل الأولى بحيث يرى ادورد فيها العلامة واضحة . وجعل يتأمل الوشم تارة ويفكر في الحكاية اخرى . ثم لبس ملابسه وسأل :

- اين الورق الذي تسجلت فيه شخصيتي بامضاء ابي ؟

- لا بد انه يوجد عند خالك مع الاوراق التي تثبت شرعية زواج ابيك . هذا اذا لم يكن خالك قد اتلفها

- ويلاه الى عهد انفصالي عنه كانت لم تزل عنده وبعد ذلك لا

ادري ماذا فعل بها

- وهل رأيتها عنده ؟

- نعم رأيتها . رأيتها محفوظة في حقيبة ولكن لم يقل لي ما هي بل

قال : فيها مجد عظيم لي ومفتاحها الوحيد اقتراني بابنته . فلم اعبأ بقوله

حينئذ ولا خطرت اهميته لي

- اتقدر ان تصف لي هذه الحقيبة

- هي من جلد ازرق صغيرة توضع بالجيب وقد رسم عليها بماء الذهب

اسم خالي نفسه

- هي هي اذاً بلا مشاحة يا سيدي
- اتظنه ا تلفها بمد جفائي له ؟
- لا . لا اظنه يتلفها لان بقاءها معه يظل مفيداً له . بعض الفائدة اذا لم يستطع ان يستفيد منها كل الفائدة التي كان ينتغيها
- ترى ماذا يستفيد ؟
- اذا لم يتسنَّ له ان يثبت بها ان صهره هو اللورد ادورد سميث ابن شقيق اللايدي سميث سابقاً فيثبت بها ان ابن اخته هو ذلك اللورد . وحسبه ذلك
- ومن هي اللايدي سميث ؟
- علمت بعدئذ انها هي اللايدي مرغريت بنتن الآن
- فاقشعرَّ بدن ادورد وانتصب شعر رأسه وما درى نفسه الا وهو واقفٌ على قدميه وصرخ
- يا للعجب ! ألويزا ابنة عمتي ؟
- نعم ان التي اولعت بها يا سيدي اللورد ابنة عمتك
- هنتُ بك يا لويزا وهنتُ بي . هنتُني يا سيدي الشيخ الخادم الامين لابي والرسول السعيد لي . قباني كبيراً يا سيدي العم كابن سيدك كما حملتني صغيراً فان سعادتك مقرونة بسعادتي
- فقبله الشيخ وضمه الى صدره وذرف دموعين على خديه
- ثم جلس ادورد وهو كمن يرتاب في ماسمع ولكن كل لحظة من ملامح الشيخ كانت تدفع ريبه وكل حرف من حروف الحكاية كان ينطبق على

معاملة خاله له ولذلك كان يتهلل ويبتش كأن شمساً تشرق عن جبينه، وبعد
افتكار قليل قال :

- اتظن خالي لم يزل يحفظ الاوراق عنده ؟
- ارجح ذلك جداً لانه عاقل ومهما يكن متغيظاً منك فلا يبالغ غيظه
هذا الى حد غيظه من اللايدي بنتن التي شمخت عليه وجرحت عزة نفسه
برفضها اياه بل بالاحرى يفضل ان يعلن نسبك لانه يغيظ اللايدي بنتن
اذ تعلم ان ابن اخيها هو ابن اخت المستر هوكر الذي خذلته . ولا اظن ان
خالك يتغير قلبه عليك الى درجة ان يحرمك مجدداً عظيماً بلا حرج ولا
اثم منك

وأنا أظن كذلك لانه يحبني جداً شديداً . ولكن أظنه يمنحني الورق
بلا تردد أو بلا شرط اذا طلبته منه ؟

- هذا ما لا أدريه

- اخاف ان يشترط عليّ ان اتزوج أليس

- ربما يفعل . وما ذا يضرك ان تتزوجها ؟

- اواه ! ليتني أقدر فاني أودها واجلها ولكني احب لويزا ابنة عمتي

أحبها وحدها فماذا افعل ؟

وأشرق وجه ادورّد عند قوله « ابنة عمتي » وقال في نفسه : « احقيق

انا ابن خال لويزا . ما اسعدني ! حسبي ان اكون ابن خالها »

- اذاً لا اظنك وانت الكاتب الشاعر تفجز عن اقناعه والحصول

على الورق

- اخاف ان يفضب ويحتد فيمزق الورق اذا اصررت على عدم موافقته
- اذا لاحظت انه على وشك الاحتداد فأقصر الحديث معه ولا طفه

ودعه الى فرصة اخرى

- وبعدئذٍ ؟
- تفتكر باساوب آخر
- اذا الآن استودعك الله الى عهد قريب فاخبرك النتيجة
- ارجوك ان تكتم امري لئلا ينقم عليّ خالك فيؤذيني
- لا تخف . لا اظنك مسأولاً عن شيء البتة . ولا اظن ان دعوى خالي بتسمم ابي تجاوزت الفندق الذي هربت منه
- ثم مضى ادورددو الفرحة يستفزه عن الارض . ولا ريب ان القارىء الكريم يتوقع ان اول ما يقصده مقابلة لويزا وكذا كان

الفصل السابع عشر

« صومعة فلقاء »

في ذلك المساء ظهرت الايدي لويزا بنتن في مقصورة من مقاصير الملعب الملكي (الاوبرا) فاجتذبت كل الابصار الى شعاع جمالها الباهر . سرحت نظرها في جميع جهات الملعب والابتسام يتدفق من بين شفثيها كينبوع نور . تنقل نظرها على كل المقاصير ثم على الكراسي الى ان استوقفته « وردة صفراء » في صدر ادورد وهو بالقرب من مقصورتها . وقد علم القارى ان الوردة الصفراء في صدر ادورد كانت للدلالة على انه يحتاج الى مقابلة

لويزا لامر كما اتفقوا . فرأته ناظراً اليها وفي حياها وميض سرور اشد تألقاً
من المعتاد فابتسمت له ابتسامة خصوصية وصارت تفكر في ماذا عسى
ان يكون مراده من لقاءها بعد ما قابلته بالامس . وكانت كل هنيهة تلتفت
به قتره ناظراً اليها ووجهه يهلُّ حبوراً وأماثر اللفظة بادية في اسارير وجهه
كانه قَلِقٌ . فخارت في امره وخطر لها الف خاطر الأ خاطر انه قريبها .
فغمزته ان يلاقها في مقصورة اللايدي جنستون صديقتها . وفي اثناء ارخاء
الستار انتقلت الى تلك المقصورة وهي قريبة من مقصورتها وفي الحال كان
ادورد في الباب فحيا اللايدي جنستون ومن معها وهي من اعز صديقاته
لانها صديقة لويزا

فاغتنمت لويزا فرصة التهاء البقية بالحديث وهمست

- ما الخبر؟ شغلت بالي . اراك فرحاً قلقاً

- ولا عجب لورأيتني مجنوناً من الفرح

- ماذا ماذا؟ قل لان الفرصة قصيرة جداً

- لا وقت الآن يا لويزا . اين اراك غداً؟

- في موتمار من الصبح انتظري عند بوابة الحديقة من الداخل فاني

ادعها غير موصدة كالعادة . ولكن قل لي ما الخبر؟

- مفرحٌ جداً وهو مقلق لك اذا عرفته من غير تفاصيله

- وجهه اشد اقلاناً . فقل قبل ان امضي

- انا ابن خالك يا لويزا وانت ابنة عمتي

فظنته يمزح في قالب الجمد وقالت مبهوتة

١ - ماذا تقول ؟

٢ - كما سمعت

٣ - اتهمني ؟

٤ - وان قرأت ذلك بعد ايام في « التيمس » وسائر الجرائد اتقولين

اني اهذي ؟

فتأملت لويزا هنيهة ثم قالت :

١ - لم افهم ماذا تقول

٢ - غداً تفهمين

٣ - الى الغد اذاً

وعادت لويزا الى مقصورتها والحيرة مقروءة في مقلتيها حتى لاحظ

ابواها واخوها وسألاها ما خبرها فابتسمت وفي الحال انتبهت لنفسها

وغيرت ملامحها . وفي ذلك الليل لم تتم فكانت تبني قصوراً وعلالي ولكن

ليس في الهواء

وفي الموعد المعين اجتمع ادورد بلويزا وصدره ارحب من السماء لها

وفي الحال عانقها ولثمها فدفعتته عنها خجلة قائلة : ما بالك تطفر هكذا ؟

ما الخبر ؟

١ - الآن صار يحق لي أن اقبلك يا لويزا لان حبنا لم يبق عقيماً بل صار

مشمراً فاني ابن خالك اللورد ادورد سميت ابن اللورد هر كورت سميت

اخي اللايدي مرغريت سميت سابقاً واللايدي بنتن حالاً وعمما قليل تكونين

اللايدي سميت كما كانت امك قبلاً

- قلت لي مثل ذلك منذ امس والى الآن لم افهم
 فاخذ ادورد يروي لها حكاية الشيخ جاكوب داي بالتفصيل وهي
 تسمع وقلباهما يرقصان طرباً على موسيقى هذه البشارة السارة الى ان
 انتهى ادورد من حكايته فذنت منه لويزا وقبلته قائلةً اقبلك باعتبار انك
 ابن خالي الآن

- وبعد الآن يا لويزا ؟

فضحكت وقالت : اقبلك باي اعتبار تشاؤه

- قبليني باعتبار انك اللايدي سميت

- لا تكن متسرعاً يا ادورد ! اما افكرت كيف تحصل على الاوراق

من خالك ؟

- افكرت ولكني اخاف ان يتلفها اذا كان ياأبي أن يعطينيها. فما رأيك

اذا اخبرت اللايدي بتن بالامر لعل لها رأياً اصوب في الاستحصال على

هذه الاوراق ؟ ألا تظنين ان الامر يههما ؟

- بالطبع يههما ان تعرف ان لاختيها ابناً في الوجود وارثاً لقب اسرة

سميت لانها كانت تحب اباك جداً والى الآن اذا ذكرته تتحسر وتتأسف

عليه واحياناً تذرف الدمع . والذي ظهر لي انها لم تعرف قط انه تزوج

- ومتى ثبت لها اني ابن اخيها اللورد سميت فهل تظنين انها تمنع

عني يدك

- لا اظنها تمنع لانها تحبك على ما ظهر لي وكانت تثني عليك ولهذا

طالما حيرني امر اإبائها عليك دخولك الى قصرنا واما الآن فقد انحل هذا

اللغز وثبت لنا ان السبب هو كرهها لخالك لالك

- اذاً ماذا تظنين ابشاشة تستقبالي او بعبوسة اذا زرتها او انها

ترفض استقبالي؟

- لا اظنها الاً مقابلتك ببشاشة لاني على ما الاحظ من ثنائها عليك

انها نادمة على امرها السابق اذ شعرت انه ظلم وعداوة بلا سبب

- اذاً ازورها اليوم

- تفعل حسناً . فاقصد اليها الآن تَوَّأ

الفصل الثامن عشر

« صباغته »

في الساعة الرابعة بعد ذلك الظهر مثل احد الخدم امام اللايدي بنتن

وهي في مقصورتها وقال لها ان شاباً يلتمس مقابلتها . ولما سألت عن اسمه

قيل لها لم يشأ ان يذكر اسمه . فأبت ان تقابله ما لم يعلن اسمه فرجع الخادم

يروى للزائر ما كان منها . وبعد هنيهة عاد يقول « انه اللورد ادورد سميث

يامولاتي » فقالت « لا اعرف احداً بهذا الاسم » وأمرت ان تفتح له القاعة

فدخل . وبعد قليل أقبلت عليه فذهلت اذ رأت ادورد الذي تعرفه من قبل

وقد منعت قبول زيارته في ما مضى . فرحبت به مع حرصها على ابنتها

وقعدت ثم سألت :

- قال لي الخادم ان الزائر اللورد سميث أفيعني حضرتك بهذا الاسم؟

- نعم يا سيدتي

فازدادت اندهاشاً وقالت شبه هازئة

- اذا اهنتك بهذا اللقب الجديد فانك تستحقه

- ليس جديداً يا مولاتي لاني لم اخدم خدمة تستحق هذا اللقب

وانما هو قديم موروث

- اذا توجد أسرة من الاشراف باسم سميث غير أسرة آبائي؟

- كلاً يا سيدتي ليس غيرها

- ممن ورثت اللقب؟

- من أسرة آباءك يا مولاتي

- ممن منهم؟

- من اللورد هر كورت سميث

فاحتاج بدن اللايدي بنتن عند ذكر اللورد هر كورت وقالت برزانه:

- من هو اللورد هر كورت؟

- ايندي لي يا سيدتي ان اقول هو اخوك وانت عمتي

ففتحت اللايدي بنتن فاها ولم تمد تنكلم . فعاد ادورد يقول لها:

- لاتعجبي ياسيدتي . ما اقوله لك هو الحقيقة الراهنة

- لم افهم

- نعم هو لغز ما اقوله لك ولكن اذا سمحت لي اروي لك

حكاية نسي

- اروي لأرى هذا العجب

وجعل ادورد يقص عليها الحكاية مغفلاً منها ما يسوؤها وهي مصغية

تهزُّ رأسها ولما انتهى قالت :

- ان قصتك محتملة الوقوع وانتهى صحتها ولكنها تفتقر الى الاثبات
- نعم يا سيدي ولهذا اتيت استشيرك في كيفية الاستحصال على

الورق من خالي

- ليس الآن ان تباحثه بالامر . ولكن لماذا كنتم خالك هذا الورق ؟
- اظن انه كتبه ريثما اشب جاهلاً نسبي لعلي اتزوج ابنته اذا اغراني
- وتم يعلن الاوراق ويفخر انه زوج ابنته من لورد . وقد اغراني بالفعل
- ولكن ذهبت مساعيه ادراج الرياح

- فهزّت الايدي بنتن رأسها قائلة باسمه :

- اما كفاه انه زوج اخته من لورد ؟

- ألا تستصوبين يا سيدي ان تكتبي له بهذا الشأن فتقولي انه بلغك

ان اخاك تزوج اخته سرّاً وتسأليه ما اذا كان عنده بيّنة على ذلك لعله
يرسل اليك الاوراق من نفسه ؟

فهزّت الايدي بنتن رأسها هزة رحوية وقالت :

- كلاً . لا حديث لي معه

- عجيبٌ ألا يهتمُّ الامر يا سيدي ؟

- يهمني جداً ولكن يصعب عليّ ان اكشفه بامرٍ ليس له اساس

عندي فالأفضل ان تفاوضه انت وشمّ نرى ماذا تكون النتيجة

عندذلك استأذن اللورد ادورد ان ينصرف على وعد العودة وخرج تاركاً

الايدي بنتن في هواجس وافكار . واذا ذلك ورد اليها البريد فجملت تفضنه

الفصل التاسع عشر

« تصاف »

اما اللورد ادورد سميت فعاد من عند عمته توًّا الى خاله لكي
يقاوضه بامر الورق فرحب به جداً وتهال وجهه بشراً . ولما دخل ادورد
وجده منهمكاً بمعالجة كلبه فسأله ما علة فقال :

- كنت في هذا الصباح في مكتي هنا اقلب بعض الاوراق
واكتب رسائل خصوصية اذ سمعتُ هذا الكلب يعوي عواءً شديداً
يدلُّ على تألمٍ فخطر لي ان بعض الخدم ضربه . وانت تعلم انه عزيز عليّ
جداً فتهضت في الحال واندفعت الى حيث العواء فوجدت الكلب في
المطبخ كالمجنون فخطر لي انه قد كلب فكلمته وجهشته ودلست ظهره
ولاطفته فلم يستكن ولكنه دنا اليّ وتعلق باهدابي كانه يستغيث بي ولم ار
في وجهه وعينه اعراض الكلب فقلت للطباخ « ما خبره » فقال « لا
ادري » فجعلت الفحص بدنه فلم اجد فيه اثرًا للضرب . ولكنني رأيت ان
شفتيه حمراء متوردتان جداً فاستدعيت كل الخدم وجعلت استجوبهم
عن امره فانكروا كلهم ان واحداً منهم فعل به شيئاً . ولكنني رأيت
هنري داي وحده مضطرباً واجفاناً دون سائر الخدم فتهددته لكي يقرّ
بالحقيقة فقال : « اني اغتظت من الكلب لانه يجلس الى جانبي وانا اتملظ
الطعام واحياناً يتنفس في وجهي في حين اني اكره الكلاب . فلكي انقره
مني فركت شفتيه وانفه بالفلفل الاحمر الحار » . وما انتهى هنري هذا من

حكايته حتى دفعت له حسابته وطرده من خدمتي

- اني اتأسف لذلك لاني اعلم ان هذا الفتى امين وغيور ونييه
- والحق اقول لك اني اسفت جداً لطرده ولكن عمله هذا غاظني
- جداً فلم اتمالك ان اطرده على انه اذا عاد اقبله
- فافتكر ادورد ان وجود هنري في بيت خاله قد يفيدني في ما لو
- اقتضت الاحوال امرآ فقال :

- سأكتب لايه ان يردّه لان ذنبه لا يستحق الطرد
- تفعل حسناً . اراك قد اتيت الينا في غير الميعاد المعتاد . عساك تود
- ان تناول العشاء معنا

- أتناوله معكم . وانما اتيت الآن لكي اسألك بعض المسائل والتمس
- منك امرآ مهماً ايها الخال

- خير ان شاء الله ! سل ما تشاء فلا أعزُّ عليك شيئاً
- لا اشك في ذلك بل أوكد اني لو طلبت مالك كله لما بخلت به
- ولكن ما اطلبه ليس مالاً وانما هو خبر صادق
- ماذا ؟ سل

- سألتك غير مرّة عن اهل ابي فكنت تقول لي انهم اناس خاملون
- في قرية حقيرة . ولكنني لم ار الآن هذا الجواب شافياً فارجو منك ان
- تخبرني عن حقيقة نسبي . من هو ابي ومن هم اهله ومن هي أسرته ؟
- فضحك المستر هوكر وقال :

- وما الذي يدعوك الآن الى هذا التحقيق ؟

- قيل لي اني من اصل شريف
- فبغت المستر هوكر لهذا القول وسأل :
- من قال لك ذلك ؟
- أسرّه اليّ من يعرفه واستحلفني الاّ أبوح باسمه ولا بسرّه
- عجيب من يعلم هذا السرّ ؟ لا اعرف احداً سواي يعلمه
- اذاً هذا السر حقيقي يا سيدي
- نعم حقيقي . أملك قابلات اللايدي بتنن اليوم ؟
- نعم انا عائدٌ من عندها توّاً اليك
- اذاً هي اخبرتك
- كلاً بل انا اخبرتها وقد ثبت لي من ملاحظتها ومن فحوى حديثها
- انها تجهل هذا السرّ تماماً ولما اخبرتها به ابت ان تصدقه
- غريب اما كانت قد تناولت بريد اليوم لما زرتها ؟
- كلاً وانما رأيت الخادم يدخل به وانا خارجٌ
- اذاً انت عرفت السر قبليها
- عرفته منذ ظهر الامس
- عجيب . عجيب . لا اعهد احداً سواي يعرفه
- ارجو ان تدعنا من عارفي السرّ الآن فان النقطة الجوهرية التي
- أسعى اليها هي ان تتفضّل عليّ بالاوراق التي تثبت اني ابن شرعي للورد
- هر كورت سميث ولك الفضل الذي لا يكافأ
- لو تأخرت دقيقتين عند عمّتك اللايدي بتنن لرأيت الاوراق التي

تبتقيها بين يديها

- أرسلتها اليها؟

- نعم . في صباح هذا النهار . وقبل حادثة الكتاب كنت أكتب لها

كتاباً افصّل فيه حقيقة السرّ . وهل عرفت انت الحقيقة تماماً !

- نعم عرفتُها

- من اخبرك اياها؟

- ستعرف بعد حين . ولكن قل لي هل مات ابي مسموماً؟

- كلاً . هل قال لك مخبرك انه مات كذلك؟

- نعم

- والحقيقة لا وانما ادّعت يومئذ تسممه لكي أنقرّ خادمه لأبعده

عني لانه هو الوحيد الذي كان يعرف السر . (ثم انبه المستر هوكر فقال)
العله لم يزل حياً وقد عثرت عليه فاسرّ لك الحقيقة ؟

- نعم كما تقول

- مسكين جوزف برون الخادم الودود الامين . اين عثرت عليه ؟

- في حانوت في الضاحية الشرقية وقد غير اسمه الى جاكوب داي

- وكيف حاله ؛ اظنه اصبح شيخاً الآن

- نعم وهو لم يزل يعتبر نفسه فارّاً فيخاف ان يعلن اسمه

- فليأت اليّ فاني اتوق الى رؤيته

- هو ابو هنري الذي طردته اليوم

- اكيده ما تقول ؟

- نعم
- عجيب . لكم كنت اقول اني آلف ملاح هذا الغلام منذ عهد بيبيد
ولطالما كان يذكرني بسحنة ابيه
- ثم قصَّ ادورد على خاله كيف عرفه وعلم منه الحكاية وقال ؟
- اذا دفمت الورق الى عمتي ياسيدي :
- نعم يا عزيزي
- فابتسم ادورد قائلاً :
- لاي غرض ؟
- لكي تعلن لك نسبك وتعرفك انك ابن اخيها اللورد ادورد سميت
ولا تضن عليك بابتها عروساً
- ولكن ما الذي حملك الآن على هذا الامر ياسيدي وقد كنت تأباه
قبلاً وتكتم السر ؟
- أنت تعلم يا دورد اني احبك حب الاب لابنه وهل تظن ان حب
الاب يتغير مهما تغير قلب الابن ؟
- كلاً . ولكن لم يتغير قاي من نحوك ياسيدي
- لا اقول ان قلبك تغير ولكني اخبرك بقضية راهنة . لما كنت الحُ
عليك ان تتزوج ابنتي كنت افعل ذلك لاعتن بقلبك لابنتي كما كان
قصدي في السنين الغابرة بل عن حب شديد لك ولابنتي معاً فكان يلذ لي
جداً ان اراكما زوجين . ولكن لما رأيتُ ان امنيتي هذه بعيدة المنال أبيتُ
وانا احبك جداً ان احرمك مجديك وحييتك لوزا بنتن . فتهنأ يا بني بها .

اسأل الله من صميم فؤادي ان يهتسكما الى الابد

- ما اطيب قلبك ايها الخال بل الاب الحنون

وعند ذلك طفر الدمع من اجفان الخال وابن الاخت ووقع احدهما

على الآخر وتماثقا

- ساعمني ياخالي الحنون . فكم اسأت اليك بجفائي لك وكم جرحتك

بكبريائي وكم صبرت على جهالتي وغروري . بل كم اسأت الى أليس عزيزتي

وكم تحممت هي من خشونتي . ألا تساعمني أليس ايها الخال ؟

- أليس طيبة القلب جداً يا ادورد وهي التي ساعمتك اولاً وهي التي

حملتني على ان اعدل عن الاحاح عليك واتركك تتبع هواك وهي تمنى لك

كل خير . ومن اجل كلامها ارسلت الاوراق لعمتك

- اين هي الآن ؟ ألا اراها هنا !

- اظنها تتمشى في الحديقة ولو علمت بقدمك لاسرعت لتراك

وفي لحظة استدعيت اليس وكانت بين يدي ادورد يمانقها عناق الاخت

- ساعمني يا اليس كم كدّرتك واحزنت قلبك

- عذرتك يا ادورد لما عدت الى رشدي وعلمت ان الامر ليس في

يدك . احبك الآن كما تحبني احبك حب الاخت الحنون واحب اللايدي

لويزا بنتن لاجلك . اهنتك بها بل اهنتها بك يا حبيبي ادورد

فوقع ادورد ثانية على قدمي اليس يقبل يدها ويحمدها

الفصل العشرون

« ما ليس في الحسابه »

في صباح اليوم التالي ركب اللورد ادورد مركبته وقصد الى قصر كنستون فدفع بطاقته الى البواب يلتمس مقابلة عمته الايدي بتن . و بعد هنيهة اقبلت عليه احدى الوصيفات وقالت له :

- تقول حضرة الايدي بتن انها لا تقبل زيارات الماجين الهازلين
فاياك ان تقصد الى هذا القصر بعد

- ما السبب ؟ لم افهم ما تقولين

- كذا اقول لك

ثم صعدت في سلم القصر غاضبةً

فبهت ادورد من هذه المقابلة المهيبة وجعل يفكر باسبابها واول ما خطر له ان عمته تأبى عليه انتسابه لها لئلا يسترد منها ثروة ابيه وانها وقد حصلت على الاوراق الرسمية التي تثبت انتسابه صار يسهل عليها ان تنكر دعواه بان تتلف الورق الذي هو حجته . فعاد ساخطاً محترق الفؤاد تارة يلعن عمته لطمعها ويقول : « لو تمنحتني يد اليس فاتنازل عن لقي وحتي من ثروة ابي ! » وطوراً يلعن خاله لاجل ارساله الاوراق الى عمته وعدم تاييمها اياه هو . وقد تمادى بالغيظ والحزن فلم يدر نفسه الا وهو امام منزله فصعد الى غرفته فوجد بريد الصباح ينتظره فقابه فعثر على غلاف معنون بخط لويزا ففتحه بلهفة وقرأه كما يأتي :

عزيزي ادورد

لا تأتِ الى قصر كنستون قبل ان تذهب الى خالك وتحتال عليه
 لتتحقق امر الاوراق الرسمية منه . ذلك لانه ورد لامي في المساء كتاب
 بامضاء خالك يخبرها فيه الحقيقة كما علمتها انت من الشيخ المستر داي
 او بالاحرى المستر برون ويقول انه ارسل لها الاوراق ضمن حقيبة جلد
 زرقاء مرسلة في البريد نفسه الذي ارسل فيه كتابه . فبحثت امي عن
 الحقيبة المذكورة بين مواد بريدها فوجدتها ولكن لما فتحتها لم تجد فيها
 الا ورقاً ابيض . فغضبت وسخطت جداً وانت تعلم كيف تسخط وتغضب
 وظنت انك وخالك تمازحانها مكايدة لها اولاً لانها منذ عشرين عاماً رفضت
 خالك زوجاً لها ثم في هذا العام رفضت زوجاً لي . فلا ادري هل يجد
 خالك ام يهزل حقيقة . وهالك نسخة رسالته لتقرأها لعلك تستنتج منها
 نتيجة مفيدة في تحقيق الامر

لويزا

ثم فتح ادورد الورقة الثانية التي فيها نسخة كتاب خاله فقرأ كما يأتي :

سيدتي الفاضلة اللايدي بنتن المحترمة

تعرفيني واعرفك منذ اكثر من عشرين عاماً يوم كنا كلانا في
 شرح الشباب وفي اشد عنفوانه اما الآن فاذا اجتمعنا رأى كل منا الآخر
 قد تغير في طبعه ومزاجه كما تغير في سعنته . فحرارة الشباب قد بردت
 ونزق الصبا قد تحول الى اناة وصبر وحلم

في ذلك العهد كنت كما كنت في اعلى قمة الشموخ والخيلاء فلما
 طلبت يدك ابيت بازدراء واحتقار مع اني كنت اعد نفسي اعظم منك

بثروتي بمقدار ما انت اعظم مني بحسبك . ولما رفضتني شمريت بجرح
 في فؤادي لا يبرأ الا اذا اذلت كبرياءك . ولذلك صممت ان ازوج اختي
 من اخيك المرحوم اللورد هر كورت سميث . وقد حسنتها له واغريته بجمالها
 وملاقتة بودادها حتى نجح مشروعي . واذ تأكدنا ان ذلك يسوؤك
 جداً وانك قد تحرضين اباك على ان يحرم اخاك من اللقب والارث اذا
 تزوج اختي عقدنا الاكليل سرّاً

ولما ولدت اختي غلاماً وشمنا الغلام على ظهره بعلامة صليب وكتب
 ابوه رقيماً وامضاه بخط يده اقراراً بأنه ابنه بدليل الوشم لان اختي ماتت
 على اثر النفاس وبقي الصبي تحت عنايتي ريثما يتسنى لـ اخيك ان يعلن
 زواجه بعد وفاة ابيه . ثم توفي ابوك ولحقه اخوك على الاثر قبل ان يعلن
 زواجه السري . فخطر لي حينئذ ان ابني ذلك الزواج مكتوماً الى ان
 يشب الصبي فازوجه ابنتي التي ولدت في ذلك الحين حتى اذا تمت هذه
 الامنية اكون قد نلت وطري في حالة افضل

ولما شب الصبي بعد ما بذت كل غال ورخيص في سبيل تعليمه
 وتربيته وجدت نفسي احبه حباً شديداً وصرت اتمنى ان ازوجه ابنتي
 لاجل اني احبه لالكي اكيدك لان الجرح الذي جرحته به اندمل على
 تماذي الزمان

وقد عرضت عليه ابنتي واغريته بالثروة الطائلة وبالجد الخبوء فلم افز
 بفؤاده . وعند ذلك عرفت انه يحب ابنتك فحاولت ان اثنيه عن حبها
 واحبيه بابنتي فلم افلح . وقد صبرت عليه الى الآن حتى قطعت الامل من

استمالتكِ ولذلك رأيت ان اعلن له نسبة عن يدك

واصلك صحبة رسالتي في هذا البريد نفسه « حقيبة زرقاء » تنطوي

على الاوراق الرسمية التي تثبت زواج اخيك وشخصية اللورد ادورد ابنه
فافعلي بها ما تشائين

اللورد ادورد شاب نابغة ولطيف وطيب القلب . انصحك ان تزوجه

ابنتك . لا تجدي مثله بين طالبي يدها . واقبلي فائق احترامي

جوزف هوكر

قرأ ادورد رسالة خاله الى اللايدي بنتن مراراً وتأملها جيداً وقابلها

بالحديث الذي سمعه منه بالامس وبالدموع التي سكبها على خده عندما

عائقة فلم تتراء له هزلاً ولا مزاحاً . اذاً ما هو تعليل هذه الاوراق البيضاء

في المحفظة ؟ العل الاقدار محت نسبه عن تلك الاوراق لكي تحرمه لويزا

حبيبته . احتدم غيظهُ واشتد حزنه حتى كادت نفسه تطير شعاعاً فركب

مركبته ودرجت به ثوّاً تسابق الريح الى بيت خاله فدخل المنزل وهو

لا يدري بأي لهجة يقابل خاله أبالعتاب ام بالخصام ام بالحيرة فالتقى به في

باب الرحبة على اهبة الخروج الى معمله . فلما رآه المستر هوكر وعلى محياه

غيب من الغم كثيفٌ حالك أقشعراً بدنه وقال بانبغات :

- ما خبرك يا حبيبي ادورد ؟

- ان كنت تمزح يا سيدي فالامر جلال لا يحتمل المزاح فبربك قل

لي الحقيقة اين الاوراق ؟

فاجاب المستر هوكر بكل رزانة وجدّ

- قات لك امس اني ارسلتها الى اللايدي بنتن

- قل الصدق

فقال المستر هوكر بسخط وقد اكدت ملاحظه :

- يا لله يا ادورد

- وصلت المحفوظة مشتملة على ورق ابيض . اقرأ هذا الكتاب

وفي الحال دفع اليه رسالة لويزا فقرأها المستر هوكر وشعر أن

شاربيه يتراقصان . فقال :

- ويلاه كيف ذلك ! اين فقد الورق ؟ اي يد لعبت بالحقيبة ؟

- اذا انت تؤكد ان الورق كان في الحقيبة لما ارسلتها ؟

- من غير بد . تفقدت الورق فيها فوجدته تاماً . ثم اخذت اكتب

الرسالة للايدي بنتن وما انتهيت من تحريرها حتى حصلت حادثة الكلب

فعلجته وعدت فغلقت الرسالة ولفقت الحقيبة وختمتها بالشمع الاحمر

ونزلت في الحال ووضعتهما من يدي في البريد

- ألايحتمل ان يكون احد عمال البريد قد سرق الورق ؟

- ولكن من يدري ماذا كان في الحقيبة . ولماذا يسرقه ؟ وماذا

يفيده ؟ . لا ادري . لا ادري . حيرني فقد هذا الورق

- ابحت الآن بين اوراقك لعله بقي عندك عن سهو

فدخلنا كلاهما الى مكتب المستر هوكر وبجثا بين اوراقه كلها فلم

يجدا لذلك الورق اثراً . فقال المستر هوكر :

- يستحيل ان يبقى الورق هنا . بل هو مسروق عمداً والآن فما معنى

وجود الورق الابيض في الحقيبة

- ولكن كيف يُسرق . انه وايم الحق لامر عجيب

- هلم بنا الى قصر كنستون فنتحرى المسألة هناك ونرى المحفوظة نفسها

لنعلم كيف فتحت واختلس الورق منها

عند ذلك لم يبقَ ريب عند ادورد ان خاله يصدق في ما يقول فقال :

- ولكن اللايدي بنتن لاتستقبلنا لانها ساخطة جداً وقد قصدت في

هذا الصباح الى قصر كنستون قبل ان تصل رسائلي والتمست مقابلتها

فعادت وصيفتها تبقل اليّ ارعادها وابراقها حتى كأني شعرت برجة غضبها

وانا خارج القصر

- اذاً ماذا نفعل ؟ لا بد من الاجتماع باللايدي بنتن وتحقيق الامر

معها . ففتى وصلنا الى القصر نرى الوسيلة الممكنة لمقابلتها وتفهم أمر الحقيبة

منها جيداً

وفي الحال ركبا توّاً الى قصر كنستون

الفصل الحادي والعشرون

« قد يسوء العهل منه حيث تحسه النية »

ولما وصلا الى باب القصر ارسلا بطاقة كتبها عليها : « المستر هوكر

واللورد سميت يرجوان مقابلة اللايدي بنتن الآن لاجل أمر مهم »

فلما قرأت اللايدي بنتن البطاقة لم يبقَ عندها ريب بان المستر هوكر

يجدُ لا يهزل فأذنت أن يدخلها الى القاعة وثم اقبلت عليهما بمجدها وابهتها

وخيلاً فوقها لها وتقدماً فصاغتها باشة ثم جلست في كرسي هزاز من
الحرير المخملي كالملكة في سرير الملك فبدأها المستر هوكر بالحديث قائلاً

- أظن يا حضرة الايدي بنتن انك وثقت برسالتني

- من أي قبيل ؟

- من قبيل اني مخلص في كل ما كتبت . فقد اعترفت لك بمقاصدي

السابقة وابنت لك نيتي الحاضرة واظنك تعذريني على القديم وتساحيني

عليه وتقبلين مني اللورد ادورد سميت هدية ثمينة

فابتسمت قائلة : ان تهديبك للورد ادورد هو الشافع العظيم بك . واني

اشاركك بكل احساساتك الجديدة . وقد نسيت الماضي ولي رجاء حسن

بالمستقبل الجديد ويسرنني ان نبتدى منذ الآن يا مستر هوكر على وفاق .

ولم يبق عندي ريب الآن انك ارسلت الحقيبة مشتملة على الورق ولكن

حيرني امرها فلا ادري كيف اختلس منها

- هل وصلت الى حضرتك ملفوفة بورق

- نعم ومختومة بالشمع الاحمر . ولما فتحتها ذهبت اذ وجدت الورق

فيها ابيض . وأقرُّ لك اني أسأت الظن بك في اول الامر ولكنني راجعت

رسالتك ثانية وثالثة فتأكدت من طبعها صدق كلامك . فماذا تظن بهذه

الحادثة الغريبة ؟

- لقد حيرني امر هذه الحقيبة ياسيدي فاذا كنت قد استلمتها

مختومة فلا يمكن ان تكون الاوراق قد سُرقَت منها في البريد . وكذلك

لا يمكن ان تكون قد فقدت عندي لاني قبيل لفها وختمها فتحتها وتفقدتها

جيداً فلم تنقصها ورقة

- هنا العجب . تذكر جيداً يا مستر هوكر ألا يمكن ان تكون قد غلظت

فوضعت الورق الابيض بدل الاوراق المقصودة سهواً ؟

- كلاً يا سيدتي فقد قمتنا جميع اوراق قلم انجد اثراً للورق المقصود بينها

عند ذلك استدعت اللايدي بنتن وصيفتها وامرتها ان تستحضر

الحقيية فأحضرتها ملفوفة بالورق الذي لفها به المستر هوكر وشاهدوا جميعاً

الشمع الاحمر لم يزل على الخيوط والورق لان اللايدي بنتن قصت الخيوط

قصاً . ثم فتحوا المحفظة فرأوا ورقاً أبيض من الجنس الدون الذي لا يوجد

مثله في بيت المستر هوكر فتأكدوا ان استبدال الورق حصل خارج بيته

فازدادوا حيرة حتى عادوا يخالج ضمير كلٍ منهم الظن السيء بالآخر .

فالمستر هوكر كان يخظر له ان اللايدي بنتن استبدلت الورق بعد فتح

المحفظة لكي تخفي نسب ادورد حتى لا يكون ابن اخت هوكر لورداً .

واللايدي بنتن كانت تقول بفكرها اذ ذلك : « ألا يمكن ان يكون المستر

هوكر كاذباً بدعواه لغاية لا اعلمها ؟ » واللورد ادورد كان يسيء الظن تارة

بعمته كما يسيئه بها خاله وتارة يسيء الظن بخاله كما يسيئه عمته . ولكن كان

كل واحد منهم يغالط ظنه ويؤنب نفسه بسره اذ يرى اماثر الجد

والاخلاص والاهتمام بادية على جهتي الآخرين

ولما استغرق الثلاثة في الحيرة تنهد ادورد في خلال سكوت قصير وقال

« ايضع نسبي بضياح هذه الاوراق » ؟

فقالت اللايدي بنتن : كلاً اما انا فاكتمني بشهادة المستر برون . واذا رأيت

أعرفه حالاً واثق به . بيتي ان يعلن السر للعموم بالصورة المقننة لئلا يُظنَّ ان
الحكاية ملفقة لغايات مدمومة وأتما تعلمان الهوان الذي يلحق بنا من
انتشار الاعتقاد بتزوير الحكاية
فنهض ادورد قائلاً :

- وانا لا اقبل ان يذاع نسي الأء وكداً عند الجمهور . فاذا نفعنا الآن؟
فقال المستر هوكر : نستدعي المستبرون ونستجو به لعله يعرف شهوداً
آخرين لا اعرفهم يعززون شهادته . ومع ذلك تتحقق امر الحقيقة في دائرة
البريد لعلنا نظفر بالاوراق

فقالت الايدي بتن : - ليس لنا سوى ذلك

وفيما كان اللورد ادورد على مثل الفضا من جراء هذه الحادثة اذ
كان مجده وغبطته موقوفين على وجود هذه الاوراق مثل احد الخدم
يستأذن الايدي بتن بدخول رجل غريب لم يشأ ان يعلن اسمه
فتممرت وتبرمت قائلة : فيظني جداً هؤلاء الذين يطالبون مقابلاتي
من غير ان يعلنوا اسماءهم . فقل لهذا الرجل انه لا يدخل ما لم يعرف نفسه
فقال لها الخادم

- الحجت عليه بذلك فاصر على كتمان اسمه وقال انه يتبني مقابلة
حضرتك لامر ذي شأن

فقالت : يدخل الى القاعة الثانية

وكان اللورد ادورد جالساً مقابل باب القاعة فبعد هنيهة رأى
شخصاً يتبع الخادم ماراً امام الباب فما شعر الا انه يندهه « مسترداي

مسترداي « فالتفت المارّ فرأى ادورد وسمعه يقول « هو برون الخادم
 ياسيدي اينذني له ان يدخل الى هنا » فقالت « ليدخل » فاستدعاه ادورد
 ولما دخل الشيخ جون داي او جوزف برون دهش اذ رأى أولئك
 الثلاثة في مجلس واحد واول شيء خطر له هو ان ادورد واللايدي بنتن
 يحجّران المستر هوكر ويحتالان عليه لكي يظهر الاوراق
 فتقدم وانحنى امام اللايدي بنتن ثم انحنى امام البقية
 فقالت له : ألا تزال تذكرنا يا مستر برون بعد هذا الغياب الطويل ؟
 - وهل انساكم يا مولاتي . لو لم تقض عليّ التقادير بالاختفاء لما
 فارقتكم لحظة

فقال المستر هوكر : الذنب ذنبي يا مستر برون فهل تسامحني ؟
 - الحمد لله ان عاقبة كل ذلك للخير ان شاء الله
 فقال له ادورد باضطراب :
 - اتيت في حينك يا مستر برون فاننا في اشد الحاجة اليك
 - لماذا؟ أتفاهتم كفاية ؟
 - بل تراضينا في الحال ياسيدي برون ولكن الاوراق . الاوراق
 مفقودة . ما انكد حظي !
 - واذا كانت موجودة افيسمح بها المستر هوكر عن طيب خاطر ؟
 فقال المستر هوكر : بل اني وهبتها بسرور من نفسي فاذا بي اهب
 ورقاً ابيض
 فقال ادورد : نحتاج الى شهادتك ومعلوماتك يا مستر برون

فقال برون : لا حاجة الى شيء فيها الاوراق
وقدمها للايدي بنتن فدهشوا جميعاً وسُرِّي عنهم كأنَّ خطاباً عظيماً
نزل عن صدورهم

فقال المستر هوكر : كيف اتصل الورق بك ؟ فقد كدنا نختنق غمماً
وتفتتت غيظاً بسبب فقده

فقال برون : اعذروني وسامحوني فانا سبب استلابه من منزل
المستر هوكر . وقد استلبته لغاية حسنة فارجوكم ان تسمعوا الحكاية وثم
فاحكموا كما تشاؤون فاني كنت ولا ازال خادمكم الطائع الامين
فقاتت الايدي بنتن : اقعد وتكلم يا مستر برون فاني لاشك
بحسن نيتك

ثم جلس الشيخ على كرسي وقال :
رايت هذا الشاب لأول مرة فلفه اليه فؤادي وبعد حديث قصير
عرفت انه ابن اخت المستر هوكر فرجحت انه ابن المرحوم اللورد
هركورت سميث سيدي القديم . فحثته اذ ذاك ان يبحث عن نسبه .
وقبل ان يمضي توسلت اليه ان يتوسط لدى خاله ان يستخدم ابني في
منزله ففعل وخدم ابني هناك حتى امس . وقد سميت الى استخدامه
عنده لالاني في حاجة الى ماهيته بل لكي ينقل لي اخبار سيدي اللورد
وعلاقته مع خاله . وقد اطالته على السر واخبرته حكاية فراري وتغيير اسمي
ولا بد ان يكون اللورد ادورد قد رواها لكما . وبالفعل كان ابني ينقل
لي كل اسبوع اخبار بيت المستر هوكر

وقد علمت من هذه الاخبار ان المستر هوكر لا يمان الاوراق التي تثبت نسب سيدي اللورد ما لم يتزوج اللورد ابنته وعلمت ان اللورد يابي ان يتزوجها ، فصرت اخاف ان المستر هوكر يتلف الاوراق لكي يبقى نسب ابن اخته مجهولاً اذا يئس من اقناعه بتزوج ابنته . فخرت في امري ماذا افعل لكي اسرق ذلك الورق لاني لم اكن اعلم اين يودع . واخيراً مرّ بي سيدي اللورد اول امس ومن حديث لحديث فهمت منه ان الاوراق محفوظة ضمن حقيبة جلد زرقاء صغيرة توضع في الجيب وان الحقيبة مودعة في دُرج مكتب المستر هوكر . فذهبت بعد مضي سيدي اللورد الى بيت المستر هوكر واستدعيت ابني الى خارج المنزل واخبرته عن موضع الاوراق وعلامة الحقيبة والحجت عليه ان يجد وسيلة لاستراق تلك المحفظة

أما ما كان من ابني فانه كان يلاحظ ان المستر هوكر لا ينزل من البيت في الصباح ما لم يجلس الى مكتبه ويقلب في أوراقه ويكتب وبقراً . فراقبه في صباح الامس حتى لاحظ انه جالس الى مكتبه وقد فتح الدرج . ومن حسن المصادفة رآه يقلب المحفظة بين يديه . وكان يعلم انه يجب كلبه جداً ويدلّه ويعني به فأخذ هنري قليلاً من الفلفل الاحمر الحار (الشطة) وفرك به شفتي الكلب وأنفه . وكان مستعداً لهذا العمل منذ المساء السابق متوقفاً الفرصة المناسبة . فتهيجت شفّتا الكلب جداً والتهب فصار يشبُ ويعوي حتى سمع المستر هوكر عواءه فخرج من غرفته مبهغوتاً ليرى ما الخبر فدخل ابني وفتح الحقيبة وأخذ ما فيها من الاوراق ووضع بدلها ورقاً أبيض لكيلا

تترأى فارغة وأقفالها وردها كما كانت وعادة . ومن حسن الحظ ان المستر هوكر طرده من خدمته على اثر الحادثة

فبهت الجميع لهذه الحكاية وضحكوا . وأما المستر هوكر فقال :

- عجيب . لم يخطر لي وانا متحير لفقدان الاوراق اني تركت الدرج مفتوحاً والحقيبة والاوراق منشورة على المكتب وهرعت الى الكاب لارى ما امره . ذلك لانه لم يكن ليأوح في بالي ان احد الخدم يجسر ان يدخل الى غرفتي . ثم ماذا يا مستر برون ؟

- عفوك يا مولاي . اننا فعلنا ذلك لغاية حسنة

- لا بأس يا مستر برون لست الومك على ذلك أتم قصتك

فاسترسل المستر برون في حديثه :

- ولما صارت الأوراق في يدي عقدت النية على ان ادفعها للورد ادورد

فذهبت في هذا الصباح الى الفندق الذي ينزل فيه فلم اجده هناك فقلت

لا بأس اعود اليه بعدئذ . ثم خطرت لي ان اذهب الى منزل المستر هوكر بحجة

ان اسأل عن سبب طرد ابني ولكن قصدي ان استفهم باساوب خفي عما

اذا كان المستر هوكر قد علم بسرقة الاوراق . ولما وصلت الى المنزل سألت

الخدم عن سيدهم قالوا « اتى المستر ادورد اليه في هذا الصباح لامر مهم

ثم سمعناهما يقولان هلم الى قصر كنستون » فخطرت لي حينئذ ان آتي الى

هنا لارى ان كنتما هنا ولاي سبب اتما هنا لعاني اجد الفرصة مناسبة

لعرض الورق فوجدتها مناسبة والحمد لله

وكان المستر هوكر واللايدي بنتن والورد سميت يسمعون حكاية

المستر برون ويهتون حتى انتهى فضحكوا من هذه الحيلة واعجبوا بحريه
ضميره في الرواية وبرروا عمله لحسن غايته وأشوا على غيرته
ثم تناولت اللايدي بنن الاوراق وفضتها فوجدت كتابة القسيس التي
ثبتت صحة عقد الزواج وامضات المريسين والشهود وكتابة اخرى تثبت
عماد اللورد ادورد سميت بامضاء القسيس وامضاء ابيه وكتابة اخرى
من ابيه تثبت شخصيته دليل علامة الوشم . ثم رآها ادورد واحدة واحدة
وكان يتهلل وجهه فرحاً وسروراً

الفصل الثاني والعشرون

« بر بير »

عند ذلك وقفت اللايدي بنن وتقدمت نحو اللورد ادورد فنهض في
الحال وتقدم اليها فمدت اليه يدها فقبلها وكان وجهها يطفح سروراً و
انقشعت غياهب الخلاء عن محياها وتراءت اودع من الحمامة وقالت له ودمع
الفرح يظفر من عينيها :

- لا اقدر ان اصف لك يا حبيبي ادورد سروري الآن (تخفق قلب
ادورد عند سماع هذه الكلمة) سرور يقابل حزن عشرين سنة قضيتها في
الحسرات على ابيك . ذلك لاني اعتبر ان الله رد لي اخي في جسم ابنه
فلك الآن عندي معزة الاخ وابن الاخ . وازيد ايضاً معزة الصهر لاني
اعرف الحب الشديد المتبادل بينك وبين لويزا ابنة عمك . وانا اعتبر انك
كنت تستحق يدها بلا لقب فكيف وانت الآن شريف وقريب بل

ابن . واني لانخربك يا حبيبي ادورد بما رأته من ارتقاءك السريع
 العجيب في الهيئة الاجتماعية وعلى الخصوص في السياسة والصحافة وآمل ان
 ارتقاءك لا يقف عند هذا الحد بل يستمر الى ان يتم لك كل متمنى . ثم اني
 اشكر عناية خالك المستر هوكر الذي ربك وعلمك لكي تكون اهلاً للقب
 سميت الشريف بل اني اهنته بك لانك ابن اخته كما انك ابن اخي
 فاجابها اللورد ادورد قائلاً :

اني اشكر الله لاهتمامه اياي ان احب ابنة عمتي حباً فوق العبادة
 لاني اعتقد ان هذا الحب كان مفتاح اسراري ومراقاتي الى مجدي . نعم
 ان خالي الفضل الاول في تربيتي وتعليمي ولكن لحي للوزير الفضل
 الاعظم في طلاب العلي والمجد . بل ان تمسكك يا مولاتي بشرف اجدادنا
 وحرصك عليه استكداً قواي لكي اطول هذا المجد الاثيل واسمى اليه .
 فقلبي ريب آل بتن كما ان عقلي ريب خالي الفاضل
 عند ذلك تقدم المستر هوكر اليها فمدت اليه يدها فقبلها قائلاً :

اني احمد الله على ان حرصني على ابن اخيك يا حضرة اللايدي لم
 يفض الى نتيجة غير محمودة . فها هو لائق لان يتلقب باسم آل
 سميت النبلاء

- لا ريب عندي يا مستر هوكر انك قصدت كل خير له وقصدك
 ببر عملك . فالماضي مضى ونحن الآن اصدقاء
 - اني امتنُّ جداً لفضلك يا سيدتي
 - تأذنون لي ان اترككم دقيقة

ثم خرجت اللإيدي بنتن الى خدر ابنتها لويزا فوجدتها تقرأ . والحقيقة ان لويزا كانت تتظاهر قارئة لانها كانت عالمة بوجود ادورد وخاله في القاعة ومنظرة نتيجة المقابلة بقلب خافق . فقالت امها باسمه :

- أتريدين ان تقابلي اللورد ادورد سميث يا لويزا ؟

- أتوبخيني يا اماه ؟

فضحكت اللإيدي بنتن وقالت : - كلاً بل اسألك غير مازحة

- لماذا اقبله ؟

- لانك تحبينه

فاحمرَّ وجه لويزا وكاد الدمَّ يقطر منه

- لا تتورّد وجنتاك يا لويزا . لم اجعل حبك لادورد ولكني جهلتُ

انه ابن خالكِ وانه لا يقل عنك في شرف حسبه

فصاحت لويزا : هل ثبت نسبه يا اماه ؟

- اذا انت عالمة بحكاية نسبه

- نعم قرأت تحرير خاله لك فساحيني

فابتسمت اللإيدي بنتن وامسكت لويزا بيدها وادخلتها الى القاعة

وقدّمتها الى ادورد وكان ادورد قد دنا منها فقالت اللإيدي :

قدّمي يدك يا لويزا الى خطيبك اللورد ادورد سميث ابن خالكِ

فانه يستحقك بشخصيته اكثر مما يستحقك بنسبه

فتناول ادورد يد لويزا وقبلها وقلبه وثب في صدره خفوقاً . ثم قالت

اللإيدي بنتن :

انها الآن خطيبتك يا حبيبي ادورد وغداً تكون زوجتك ان شاء
الله فقبلها يا ادورد وقبليه يا لويزا

فتعانق الحبيبان في العنانية العناق الذي كانا يشتهيانه في الخفاء
ويكفهما عنه العنقاف . ثم صاحفت لويزا المستر هوكر فبرزت يدها والدمع
ملء عينيه قائلاً : - اني اسرُّ جداً يا حضرة اللايدي لويزا ان ارى الى جنب
ادورد الذي ربيته ابناً وحيداً لي ابهي نبيلات انكثرا واجلمن خلقاً وخلقاً
- كنت يا مستر هوكر ابا اثنين فصرت ابا ثلاثة
- اشكر لطفك ايها العزيزة

عند ذلك قالت اللايدي بنتن : في هذا المساء نتعشى في هذا القصر
جميعاً . ونفرح معاً

فقال ادورد : وسترين يا عمتي المحبوبة ابنة خالي بل اختي اليس
وتسرين بأدبها وجمالها

- لاريب عندي انها تضاهيك في كل محمدة لانكما غرس يد واحدة
ثم خرج المستر هوكر وبقي ادورد في بيت عمته حتى المساء

الفصل الثالث والعشرون

« حب وعمر في ساعة واحدة »

وما سدل الليل سجوفه حتى كان قصر كنستون يتألق ابهة وسناء
وقاب لويزا يرقص بهجة وهناء واللايدي واللورد بنتن واللورد روبرت
يتهللون سروراً لتحققهم ان ادورد نسيبهم ولائهم كانوا يحبونه جداً لنبوغه

ولما كانوا يقدرونه له من المستقبل المجيد في عالم السياسة . وكل ما كان عند
اللايدي بنتن من الكبر والصلاف قد لاشاه حبيبها له وحنانها اليه لانه ابن
اخيها . اما ادورد فلم يكن ليرتوي من النظر الى لويزا ومحادثتها وملاطفتها
حتى انه كاد ياتهمها حباً بعينيه كما التهمها بقلبه لانها كانت وميض بشرة له
ويذبح ايناس

وقد احتفي الكل بالمستر هوكر وبأليس ابنته وأعجبوا بما رأوه من
جمالها وبهائها وجلالها وحسن روائها حتى ان اللايدي بنتن لم تكن لتتوهمها
الأسيلة النبل والشرف

وكان في ذلك المساء ان روبرت اعجب غاية الاعجاب بأليس فأولع بها
وظل يحتفل بها ويحاملها حتى لاحظ الكل أمره معها . فبعد تناول العشاء
وتفرقهم ازواجاً في قاعات القصر وشرفاته اخذت اللايدي بنتن يد ابنها
وادخلته الى غرفتها وقالت له باسمه :

- اراك يا ولدي روبرت تحتفل كثيراً بمس هوكر
- أليس من الواجب يا امه ان تحتفل بالضيوف ؟
- نعم واجب . ولكنك اقتصرت على الاحتفال بأليس وحدها فلا
اظن هذه الحفاوة كلها من قبيل الواجب بل هناك داع اكبر لها . داع
من القلب . أليس كذلك يا روبرت ؟
- فابتسم روبرت قائلاً : وهل من مانع ان احتفي بها كحبيبة يا أمي ؟
- كيف ترى أليس يا روبرت ؟
- اني اراها آية جمال وكمال وادب . هل انا غلطان ؟

- كلاً يا روبرت . اني معجبة بها وأراها لا ثقة بتصور الامراء فهل
تشاء ان تكون زوجة لك

- كذا افكر يا أمه فاذا كنت وابي ترضيانها فاني أسر بان تحققا اميتي
فاستدعت اللايدي بتن زوجها وسألته عن رأيه فوافق رأيا بسرور .
وقررا أن يسألها روبرت اولاً عن رغبتها بأسلوب بسيط . وفي الحال
ذهب اليها وانفرد بها في الشرفة وحادثها طويلاً احاديث مختلفة حتى
تطرق معها في الكلام الى الحديث الآتي :

- لي الأمل ان تكوني مسرورة في هذا المساء يا مس أليس

- لا اظنك تشك بذلك يا حضرة اللورد

- اذا أعد نفسي سعيداً

- أنا السعيدة يا سيدي . بل ارى ان السعادة محصورة في هذا

القصر المجيد

- اذا كان هذا ما تعتقدن يا سيدي فان القصر يتشرف بان يكون

مقامك الدائم اذا شئت

فأشعرت أليس لهذا القول ولم تجب فعاد روبرت يقول لها : لم

سكت يا عزيزتي ؟

فقلت متلعثمة : هل تعني ما قلت يا سيدي ؟

- ان ما اقوله هو اميتي فهل يسوؤك ؟

- كلاً . وانما زرع قوامي لانه سعادة مفاجئة

- كذا كانت سعادتني في هذا المساء يا حبيبتني . وما اعظم السعادة اذا

كانت مفاجئة

- اني اخاف يا عزيزي روبرت ان تكون هذه السعادة المفاجئة حلما

سريع الزوال

- لا سمح الله يا اليس

فتنهدت اليس متممة لنفسها : - اشكر الله لانه لم يندس صبري واخلاصي

ثم رفعت صوتها قائلة : - ولكن

- ماذا ؟

- ارى ان بيني وبينك يا سيدي عقبة صعبة المرتقى جدا

- لا عقبة تستطيع الحياولة بين القلوب المتفاهمة . فاذا تمنين ؟

- أنسيت ان سيادة اللايدي بنتن والدتك قد انكرت يد اللايدي

لويزا على ادورد ابن عمتي لانها كانت تظنه من العامة لا ينبض فيه دم النبلاء ؟

فضحك روبرت قائلاً : - حقك ان تظني هذا الظن . ولكن

لا اخفي عليك ان سرور أمي بادورد ابن اخيها خفف جدا من غلوائها

وازال كل حقد من قلبها على ابيك وصارت تنظر اليه كصديق كبير عريض

الجاه عالي المقام . وادورد نفسه لم يدخر جهداً اليوم بالتأثير على والدي

ان خاله المستر هوكر رجل عظيم في عقله نبيل في قلبه شريف في مبادئه

وانه ابي ادورد اذا كان يتصف بحسنه فلان خاله رباه على يديه . وقد

عرض ادورد بذكرك كثيراً في هذا النهار وامتدح صفاتك حتى تعلقنا

كلنا بك قبل ان نراك ولما رأيناك وجدنا الخبر افضل من الخبر

لا ريب ان ادورد خلبكم بسحر بيانه فأوهمكم ان لي محاسن تستحق

ثناءكم فكم انا مدينة للطفه

- لم نعد في حاجة الى شهادة يا أليس . ها انتِ بيننا وكلنا مسجون
بما ألسناه من لطفكِ وادباكِ . فاذا كنتِ تتوهمين ان والديَّ عقبه في

سبيل حينا فأنت مخطئة لاني استشرتهما بالامر فأظهرا تمام الرضى
ثم تناول روبرت يد أليس وهمَّ ان يقبلها فاجتذبتها منه قائلة : عفوكِ
يا حبيبي أنتِ استشرتِ ابويكِ وانا لي ابٌ

- أظنينه يأبى ؟

- يستحيل ان يأبى ولكن واجب الادب

- يقتضي ان يُستشار . نعم يستشار . لا انكر ذلك . وانما خاطبتك

انا اولاً بهذا الموضوع لكي اعلم رغبتك حتى اذا استحسنت الامر كلم
ابوي اباكِ بشأنه وها انا مخبرها بنتيجة حديثنا

وعند ذلك انفرد روبرت بأبويه واخبرها خلاصة حديثه مع أليس

فانفردت اللايدي بنتن بالمستر هوكر وقالت :

- اي شيء كان ألدَّ لكِ في هذا المساء يامستر هوكر ؟

- ان ارى ادورد ولويزا يتمازحان فيتغاضبان هنيهة ويتراضيان اخرى

فكانت كل حركة من حركاتهما نقرة على وتر السرور في قلبي . اما لكِ

ذلك يا حضرة اللايدي بنتن ؟

- بالحقيقة سرَّني جداً ثم سرَّني شيء آخر مثله ايضاً . أما لاحظته ؟

فضحك ضحكة المتجاهل قائلاً : ماذا ؟ لم ألاحظ غير امر ادورد ولويزا

- يستحيل الا ان تكون قد لاحظت تجامل أليس وروبرت

- نعم لاحظت شيئاً من ذلك فنسبته الى لطف اللورد روبرت الفائق

نحو ابنتي ولا سيما لانها ضيفته لاول زيارة

- ما هو لطف يا مستر هوكر بل هو حب

- لا أظن اللورد روبرت يعباً بمثل أليس يا مولاتي

- ليست لويزا بأفضل من أليس يا مستر هوكر . والذي ربي ادورد

هذه التربية السامية ربي أليس . وكما ربيت لي ادورد ربيت لك روبرت

فأليس وروبرت حبيبان الآن فلا اظنك الاّ تسر بأن يكونا زوجين

- ولكن هل تحققت ما تقولين يا سيدتي ؟

- نعم فقد اطلمت على افكار روبرت بهذا الشأن وهو نقر على وتر

قلب أليس فسمعه مجاوباً لوتر قلبه . وانا واللورد بنتن فرحان بهذا

التوافق . وانت ؟

- لي الفرح الأكبر

ثم تصافحا وامتزجا بين البقية واعلنت اللايدي بنتن الامر للجميع

فبادلوا بعضهم التهانى واتموا سهرتهم في منتهى الهناء والصفاء

.....

بعد بضعة أسابيع نشرت جرائد انكلترا ان قد زفت اللايدي لويزا

بنتن الى ابن خالها اللورد ادورد سميث والمس أليس هوكر الى اللورد

روبرت بنتن في مساء يوم واحد في قصر كنستون في احتفال اتيق حضره

معظم نبلاء لندن وكبارها